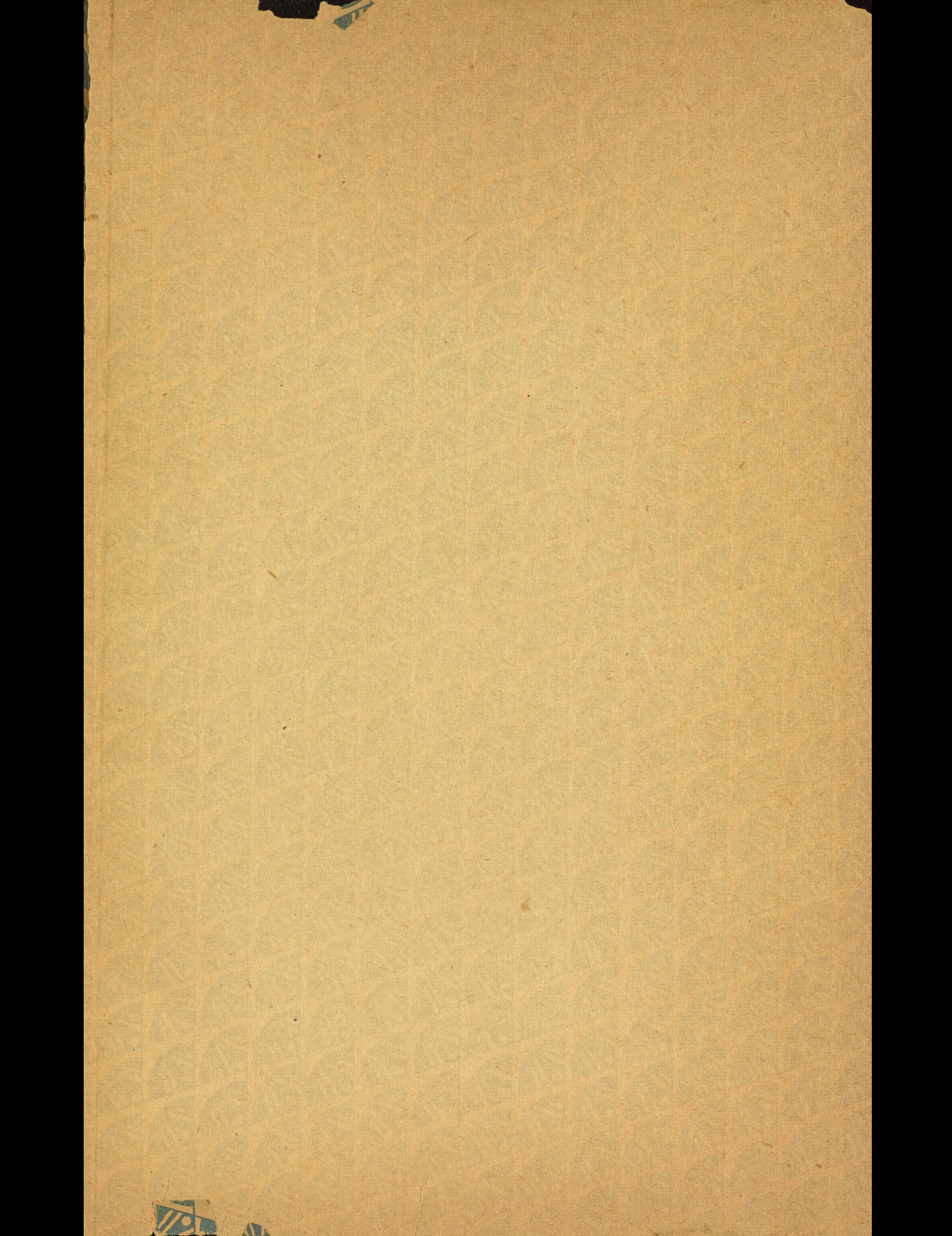


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







PT 12.8 = 10%
disc

Ma'arif

3/4/45

(C)

128



مباحث عريضة

39141

حقوق النشر والترجمة
محفوظة للمؤلف

بشرفارس

دكتور في الآداب من جامعة باريس

مباحث عربية

مطبعة المعارف وكتبتنا بمصر

١٩٣٩

45-39141

للمؤلف

في اللغة العربية :

- "قطعة لحم" قصة فازت بجائزة مجلة "الهلال" في «مباراة القصة العصرية» ، ونشرت فيها ، أغسطس ١٩٣٤ . ثم نقلها Herbert Melzig إلى اللغة الألمانية ، ونشرت في صحيفة *Frankfurter Zeitung* ، ١٧ سبتمبر ١٩٣٧ .
- "مفرق الطريق" مسرحية في فصل واحد ، مع توطئة في الطريقة الرمزية المستحدثة . مصر ١٩٣٨ (مطبعة المعارف ومكتبتها) .

في اللغة الفرنسية :

- "العرض عند عرب الجاهلية" ، بحث في علم الاجتماع . *L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam*, Paris 1932, Adrien-Maisonneuve, éditeur . رسالة لشهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس (السربون) . باريس ١٩٣٢ .
- "المشكلات التي تعرض للكاتب العربي" الحديث من جانب اللغة والثقافة والاجتماع ، ولا سيما في مصر" . مبحث ألقى في معهد الدراسات الإسلامية لجامعة باريس ، ثم نشر في "مجلة الدراسات الإسلامية" *R. E. I.* . باريس ١٩٣٦ .
- "مباحث" نشرت في "تكملة دائرة المعارف الإسلامية" *E. I., Supplément* الخارجة في ليدن ، ١٩٣٦ ي . وقد نُقلت هذه المباحث إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية وظهرت بهما في السفر ذاته .

معدّ للطبع :

في اللغة العربية :

- "مجموعة قصص" .
- "رسالة في الأدب العربي" الحديث .

في اللغة الفرنسية :

- "مجرى الأدب العربي" في مصر لسنة ١٩٣٨ ، من الناحية الاجتماعية " . مبحث ألقى في مؤتمر المستشرقين المنعقد في برورسل ، سبتمبر ١٩٣٨ .
- "مفرق الطريق" .

مفتاح "مباحث عربية"

١ - تفسير الرموز

- سو : سورة من القرآن .
آ : آية من القرآن .
ج : جزء .
ص : صفحة .
س : سطر .
ش : بيت من الشعر .
(ح) : الحاشية لا المتن .
ط : طبعة .
خ : (نسخة) مخطوطة (أو كتاب مخطوط) .

- ذ : الكتاب ذاته (أى الكتاب المذكور فى المرجع السابق توًّا) .
ن : المؤلف نفسه (أى المؤلف المذكور فى المرجع السابق توًّا) .
ك : الكتاب المذكور قبل المؤلف .
ض ك : الموضع المذكور قبل من الكتاب أو من الكتاب المتقدم ذكره للمؤلف .

- ى : وما يلى ذلك (مثلاً سنة ١٩٠٠
ى = ١٩٠٠ و ١٩٠١ ؛ ص ١٠
ى = ص ١٠ و ١١ ؛ س ٥
ى = س ٥ و ٦) .

- ى : وما يلى ذلك (مثلاً سنة ١٩٠٠
ى = ١٩٠٠ والسنوات التى تليها ؛ وقس على هذا) .

- م : مكررة (مثلاً ص ٥ م من المخطوطة) .

- ظ : انظر (نص كذا) ، (بمعنى اطلب وراجع) .
ز : وازن (بين النصين ، للتقريب أو المقابلة أو المعارضة) .
قبل : ما سبق من الكلام .
بعد : ما يأتى من الكلام .
تحت : أسفل الصفحة .
فوق : أعلى الصفحة .
محدوف : نص محذوف (من مخطوطة أو كتاب مطبوع) .
مزيد : نص مزيد .
رواية : رواية مختلفة (للنص الواحد) .

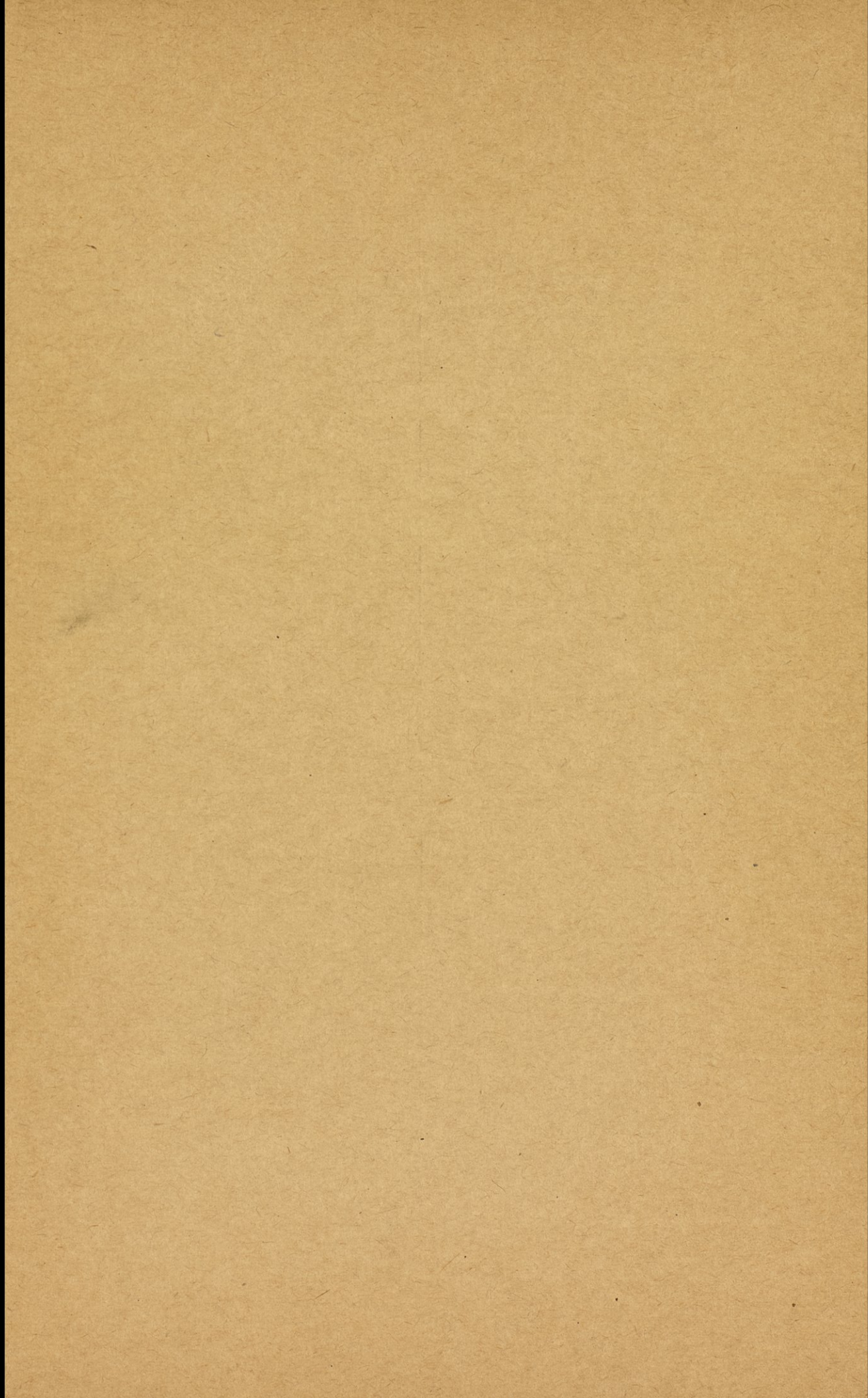
٢ - إيضاح العلامات

- « » : بين هاتين العلامتين يقع عنوان كتاب أو مبحث أو مقالة أو فصل أو اسم مجلة .

- « » : بين هاتين العلامتين يقع النص المقتبس بحروفه ، citation ، quotation . وأما ما يقع فى مجرى النص بين هاتين العلامتين () فإشارة يزيد بها مؤلف هذا الكتاب ، وأما ما يقع بين هاتين العلامتين [] فتصويب من عنده .

- △ : تقع هذه العلامة بين اسم علم وتاريخ فتدل على الوفاة . والتقويم المتبع فى تاريخ الوفاة هو الهجرى ، إلا إذا عُين التقويم المسيحى .

- (؟) : تعقب هذه العلامة ما فيه شك أو خفاء .



إلى انبعاث الروح العلمى الخالص

فى مصر والشرق العربى

ب . ف



المشتمل

١٤ — ٩

تصدير

١٨ — ١٥

بيان

استطلاع^(١)

٣٠ — ١٩

مسلمون في فنلندة مع سبع صور

في علم الاجتماع

٥٦ — ٣١

مكارم الأخلاق تعبير أخذ يرجع إلى الأخلاقيات التقليدية

٧٤ — ٥٧

المروءة كلمة رمز

٨٤ — ٧٥

التفرد والتماسك عند العرب . مراجعة أقوال المستشرقين

٩٢ — ٨٥

البناء الاجتماعي عند عرب الجاهلية

في اللغة

١١٦ — ٩٣

تاريخ لفظة الشرف محاولة

١٢٣ — ١١٧

بعض الاصطلاحات في الموسيقى والفلسفة

١٣١ — ١٢٤

بعض المخطوطات العربية لاستخراج مصطلحات مختلفة

١٣٣

لحق الكتاب

المسارد :

١٣٦ — ١٣٤

مسرد المخطوطات

١٤٢ — ١٣٧

مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة

١٤٤ — ١٤٣

مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة لغير اللغة العربية

المستدرك :

١٤٧ — ١٤٥

المضاف

١٤٨

الفائت

تصدير

عَظَفَنِي إِلَى صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ - حُرِسَتْ ! - مِيلَ دَفِينٍ إِلَى
قَوْلِ الشَّعْرِ وَسِيَاقَةِ الْقَصَصِ وَمَعَالِجَةِ النِّقْدِ . ثُمَّ إِنَّهُ اتَّفَقَ لِي ذَاتَ
يَوْمٍ أَنَّ فُطِنْتُ إِلَى خِفَّةِ بِضَاعَتِي ، إِذْ وَجَدْتُ شَعْرِي لَا يَسْفِرُ
عَنْ طَرِيفٍ وَنَثْرِي لَا يَكَادُ يَرْجِعُ إِلَى مُحْصُولٍ . فَاعْتَزَمْتُ الاجْتِهَادَ
وَابْتَغَيْتُ النُّزُولَ إِلَى مُضْطَرَبِ الْحَيَاةِ قَبْلَ التَّأْلِيفِ . فَطَمَحَ بِصْرِي
إِلَى بِلْدَانِ الْغَرْبِ . وَلَكِنَّ أَهْلِي عَنْهَا رَدَّوهُ . فَاسْتَحْكَمَ الشَّقَاقُ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ حَتَّى كَانَ يَوْمٌ يَتُسَوُّوا فِيهِ مِنْ زَجْرِي ، فَمَضَيْتُ
إِلَى بَارِيسَ .

فِي بَارِيسَ اسْتَدْرَكْتُ مَا فَاتَنِي فِي مِصْرَ مِنَ التَّحْصِيلِ أَوْ كَدْتُ ،
وَقَدْ جَذَبَتْنِي الْفَلَسَفَةُ خَاصَّةً فَأَقْبَلْتُ عَلَى فُرُوعِهَا . وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ
الْعَهْدِ سَعِيداً بِهَا وَشَقِيئاً فِي آنَ ، ذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أُؤَدِّبُ ذَهْنِي مِنْ
طَرِيقِ الْعِلْمِ لَا مِنْ بَابِ الْأَدَبِ الصَّرْفِ . وَالْآنَ أَذْكَرُ كَيْفَ
جَاهَدْتُ ذَهْنِي نَفْسَهُ حَتَّى يَنْفُضَ مِنْ عِنَادِهِ فَيَنْقَادَ لِلْأَسَالِيبِ الْجَافَةِ

وينشط للمسالك الوضعية . وكم مرة نبذت يدي مجلدات علم النفس
وتاريخ الأديان والمنطق والإلهيات وغير ذلك من الفنون الكالحة ،
لتتلمس ديوان شعر أو سفر قصص أو مسرحية ... أو القلم لترقم
أبياتاً وتخط رسالة . ثم كم حَرَفْتَنِي قَدَمَايَ فِي السَّرْبُونِ وَ « الكوليچ
دى فرانس » عن مدرجات الفلسفة وما يأخذ مأخذها لتطرحني
في مدرجات الأدب وتاريخ الفن . ثم كم فررت من حجرتي ، وقد
خنقتها الكتب والكراريس ، أطلب في الطرق والقهوات مذاهب
العبث وما وراءها من إحساس عنيف يصرك في مكانك ،
سرك أو حزنك ...

انتهى التحصيل بنيل الإجازة فوجبت العودة . ولكن هل
ينتهي العلم ؟ وهل تُترك باريس بين خبز مُرَوَّلٍ صباحاً وشواءٍ رَشْرَاشٍ
مساءً ؟ بقيت للحصول على شهادة الدكتوراه . فبرزت لى عدة
موضوعات تصلح لرسالة ، فاخترت بعد التأمل ما يساير نزعات
نفسى ، اخترت هذا الموضوع : « العرض عند عرب الجاهلية » .
والذى ساقني إليه ولع قديم بكل ما يتصل بلغة العرب ، فانتدأ
إلى معرفة أحوال القوم واستطلاع آثارهم : باعثان ، أحدهما وجدانيّ
والآخر عقليّ .

من ذلك الحين هويت العلم للعلم ، لأننى قصدته من جانبٍ
مستحبٍّ ، ثم لأننى كنت أرجع من أجله إلى كتب الأدب ،
نحو دواوين الشعر الجاهلى والأموى ورسائل الجاحظ وكتاب الأغاني
وغيرها ؛ حتى إنى لما أرحت القلم من عناء الرسالة أصبته إلى
التأليف العلمى يرفّ ، من بعد ما استعصى زمنًا . على أنه ظلّ
طوال إقامتى بباريس أختا أدب ، لأنّ صاحبه لم يتحول قط
— فى دخيلة نفسه — عن هواه الأوّل .

ولما قفّلت إلى مصر تنازعنى فيها الأدب والعلم . فأردت أن
أرضى الخصمين ، إذ قلت لقلمى ينقلُ إلى العربية الرسالة التى كان
سطرها فى باريس ثم ينطلق إلى الأدب . قلت ، والمقادير شغلت
القلم عن إتمام النقل . وما كنت لأغضب مما حدث وفى تقديرى
أنى لا أزال إلى دقائق العلم فقيرًا . فانقلبت إلى التحصيل طيّع
النفس ، فرحًا بالتقصّى فى التنقيب . فشخصت ثانيةً إلى باريس ،
ولزمت دار الكتب الوطنية ، ثم رحلت إلى ألمانيا حيث لبثت
زهة سنة أنظر فى طرائق علمائها إلى جانب مناحى أدبائها .
ثم قذف بى الاغترابُ فى سبيل التلقّى — آخرَ ما قذف حتى
اليوم — إلى لندن .

فى ذلك العهد الثانى من الاجتهاد بدا لى أن أكتب مباحث ،
بعضها تكملة لمسائل كنت عرضت لها فى الرسالة أو أشرت إليها ،
وبعضها أجنبي عنها . وهذه المباحث أجمعها هنا والجرأة تغمر
صدرى . والحق أن طائفة منها قد نشرت باللغة الفرنسية
فى أوربة أو بالعربية فى مصر . غير أنك تصيها فى هذا الكتاب
وقد رزقت قسطها من التهذيب ثم الحذف والزيادة ، بحيث إذا
أردت التعويل فعلى هذه المجموعة يكون .

ولم يدُر فى الحسبان أنى ناشر تلك المباحث قبل الرسالة .
إلا أن هذه لا تزال موضع مراجعة ، فضلاً عن أنها متشعبة
المطالب . فوددت أن أنزل تلك المباحث المختصرة منزلة التوطئة
لها من حيث المنهج والأسلوب :

أما المنهج ، فالاعتماد على المشاهدة دون الفرض ، والتحقيق
دون التخيل ، والموضوعية دون الذاتية ، وإقامة الدليل دون
القناعة بالمقبولات والمسلمات ، ثم الذهاب من المركب إلى البسيط
ومن الخاص إلى العام ؛ مع تسليط النقد النافذ — من جانبه
الخارجى والباطنى — على الوقائع ، من حيث إنها أشياء طبيعية
مبدولة للحس ، لا أمثال عالية ولا معانٍ منتزعة من المحسوسات

مجرّدة في الذهن أموراً كليّةً عامّةً ؛ ومع نبذ التشييع للآراء من مرتجلة وقبليّة ، فلا إشار هووى ولا تعصب لأحد على أحد ؛ ومع ردّ تلك الوقائع إلى مصادرها ، من طريق الوصف المباشر أو الاستشهاد بالنصوص الصريحة ، حتى لا يُرسل الكلام فيضيع حظه من الثبوت ؛ ومع التحرّى في البحث ، سعيّاً في الدنو من الحقيقة ، بفضل المنطق ذى العَرَض البَيّن والسِّلْك المتّصل والاستدلال القويم والنظر الصادق على غير استكراه ولا تحكّم ولا مكابرة ؛ ومع إثبات ما أتى به العلماء العاملون من قبل بالاستناد إليهم أو الاعتراف بجهدهم ، خروجاً من ظنّة التلصّص والسطو .

وأما الأسلوب فضارب إلى الإنشاء العلمى . وبه يكون اللفظ حرّاً ، والعبارة واضحةً ، والإطناب بقدر ، والجملة كأنّها قائمة برأسها ، والنسق متتابعاً بتجاوب الأغراض ؛ من غير تزويق ولا تكلف — فلا ألفاظ تنهال ولا فقر تحبّر — حتى إن الدائب في قراءة الأدب قد يقول : هذا جفاء وهذا نبوّ ! غير أن الإنشاء العلمى إذا حسن به أن يكون سهلاً — على أن يترفع عن الركافة والقلق — فإنما يحقّ له أن يعتمد إلى تراكيب وألفاظ لا مرجع لها في المنقول من متن اللغة الأولى ، بل وضعها الأئمة من المولّدين اصطلاحاً يوم ألفوا في صنوف العلوم وضروب الفنون . وقد يقصر ما وُضع

عن سدّ حاجات التعبير العلمىّ لهذا العصر ، أو ربما غاب بعضُ
ما وُضع عن العالم المنشئ ؛ فلا بدّ إذن من الاستحداث فى مفردات
اللغة وألوان الأداء . وإنّما السّبعة فى الاستحداث على العلماء
المنشئين وحدهم .

على تلك السنّة أُجريت تأليف هذه المباحث ؛ ولعلّ صنعت
شيئًا . وإن أنا زغت عن الخطّة المرسومة ، فأخطأت وجه
الصواب — وكثيرا ما أخطأته — فمّا يزعمه أملى أن أَرَدَّ إليها
وأن يُتجاوز عني .

القاهرة ، ديسمبر ١٩٣٨

بيان

١ — تُذكر المصادر على الوجه الوافى ، أوّل ما تذكر ، فى كل مبحث : اسم المؤلف وعنوان الكتاب وتاريخ الطبعة (وموضع الطبع إذا تنازعت الكتاب طبعتان أو أكثر) ورقم الجزء والصفحة (والسطر إذا اقتضت الحال) . ويُذكر المصدر الواحد على الوجه الوافى إذا انتقل من مبحث إلى مبحث ، لأنّ القارئ قد يقرأ مبحثاً دون مبحث .

٢ — كتابة الكلمات الإفرنجية (والأعجمية عامّة) مُشكلة من المشكلات ؛ ولا نغنى الكلمات التى نريد إلحاقها بالأوضاع العربية من طريق الإبدال والتحريف حتى تصير كأنّها منها (نحو : الساذج والدرهم قديماً ، والتلفون والبلشفية حديثاً) ، بل نغنى الكلمات التى نقصد حكايتها على أصل مخارج حروفها ونبرات حركاتها (نحو أسماء الأعلام وأسامى الكتب) . وعلة المشكلة أن بعض الحروف والحركات الرومانية لا تجد نظائرها فى هجائنا المشهور ، كما أن بعض الحروف والحركات العربية لا تجد نظائرها فى الهجاء الرومانى . وقد تدارك المستشرقون هذا النقص بوضع حروف وحركات معلومة ، متداولة فيما بينهم ، تؤدّى تلك الحروف والحركات العربية . وهذه طريقة يسميها القوم transliteration (أى نقل الحروف) .

ومما يقبض الصدر أننا لا نظفر بمثل هذه الطريقة في لغتنا حتى اليوم ، مع حاجة علمائنا وكتابنا إليها ، ومع وجود جماعات من حملة العلم وأهل اللسان^(١) . ولذلك تجنبت ما استطعت رسم الكلمة الإفرنجية بالحروف العربية ، بل رسمتها بالحروف الرومانية ؛ وإن اتفق لى أن أرسما بالحروف العربية أردفتها بالأصل أى بالكلمة مرسومة بالحروف الرومانية . ويغلب ذلك على أسماء الأعلام والبلدان ؛ وأما أسامى الكتب وما يجرى مجراها فقد كتبتها بالحروف الرومانية ، وقليلًا ما نقلتها إلى العربية .

٣ — فى سياق المبحث ألفاظ اصطلاحية technique, technical وخاصة typique, particular . وقد أثبت ما ينظر إليها فى الفرنسية ثم الإنجليزية والألمانية أحيانًا . وبعض هذه الألفاظ مما وقع الى من طريق المطالعة أو الاجتهاد . وبعضها مما استنبطه المحدثون أو أحيوه . ولم أر حاجة إلى تمييز ما أتيت به مما أتى به غيرى^(٢) ، إذ المقصد إغناء لغتنا سواء من هنا أو من هنا . وفى نيتى أن أفرد لأمر طائفة من الاصطلاحات (الفلسفية والموسيقية واللغوية) مبحثًا آخر يجمع بين الاستقصاء الممكن والتفصيل المرضى ؛ ولذلك اكتفيت فى هذا الكتاب بإدراج أجل الاصطلاحات شأنًا فى جدول خاص .

(١) قد فطن ابن خلدون من زمن بعيد إلى ضرورة هذه الطريقة (" مقدمة " بيروت ١٩٠٠ ص ٣٤) . وجاء من بعده ابرهيم اليازجى (مجلة " الضياء " مصر ١٩٠٠ السنة ٢ ص ٥١٦) وأنستاس مارى الكرملى " رسالة فى الكتابة العربية المنقحة " بغداد ١٩٣٥ ص ١٧ — ٢٠) . وأخبرنى الشيخ شوق أمين قال : إن مجمع فؤاد الأول للغة العربية عالج هذا الموضوع فى دورتيه الرابعة والخامسة (١٩٣٧ — ١٩٣٨) .

(٢) على أن أكثر الاصطلاحات التى أثبت ما ينظر إليها فى اللغات الأجنبية مما أتيت به .

٤ — تفسير الرموز :

- سو : سورة من القرآن .
آ : آية من القرآن .
ج : جزء .
ص : صفحة .
س : سطر .
ش : بيت من الشعر .
(ح) : الحاشية لا المتن .
ط : طبعة .
هـ : (سنة) هجرية .
خ : (نسخة) مخطوطة (أو كتاب مخطوط) .
ذ : الكتاب ذاته (أى الكتاب المذكور فى المرجع السابق تَوًّا)
ن : المؤلف نفسه (أى المؤلف المذكور فى المرجع السابق تَوًّا)
ك : الكتاب المذكور قبلُ للمؤلف .
ض ك : الموضع المذكور قبلُ من الكتاب أو من الكتاب المتقدم ذكره للمؤلف .
ى : وما يلى ذلك (مثلاً سنة ١٩٠٠ ى = ١٩٠٠ و ١٩٠١ ؛
ص ١٠ ى = ص ١٠ و ١١ ؛ س ٥ ى = س ٥ و ٦) .
ى : وما يلى ذلك (مثلاً سنة ١٩٠٠ ى = ١٩٠٠
والسنوات التى تليها ؛ وقس على هذا .) .

- م : مكررة (مثلاً ص ٥ م من المخطوطة) .
ظ : انظر (نصّ كذا) ، (بمعنى اطلب وراجع) .
ز : وازن (بين النصّين ، للتقريب أو المقابلة أو المعارضة)
قبل : ما سبق من الكلام .
بعد : ما يأتي من الكلام .
تحت : أسفل الصفحة .
فوق : أعلى الصفحة .
محذوف : نص محذوف (من مخطوطة أو كتاب مطبوع) .
مزيد : نص مزيد .
رواية : رواية مختلفة (للنص الواحد) .

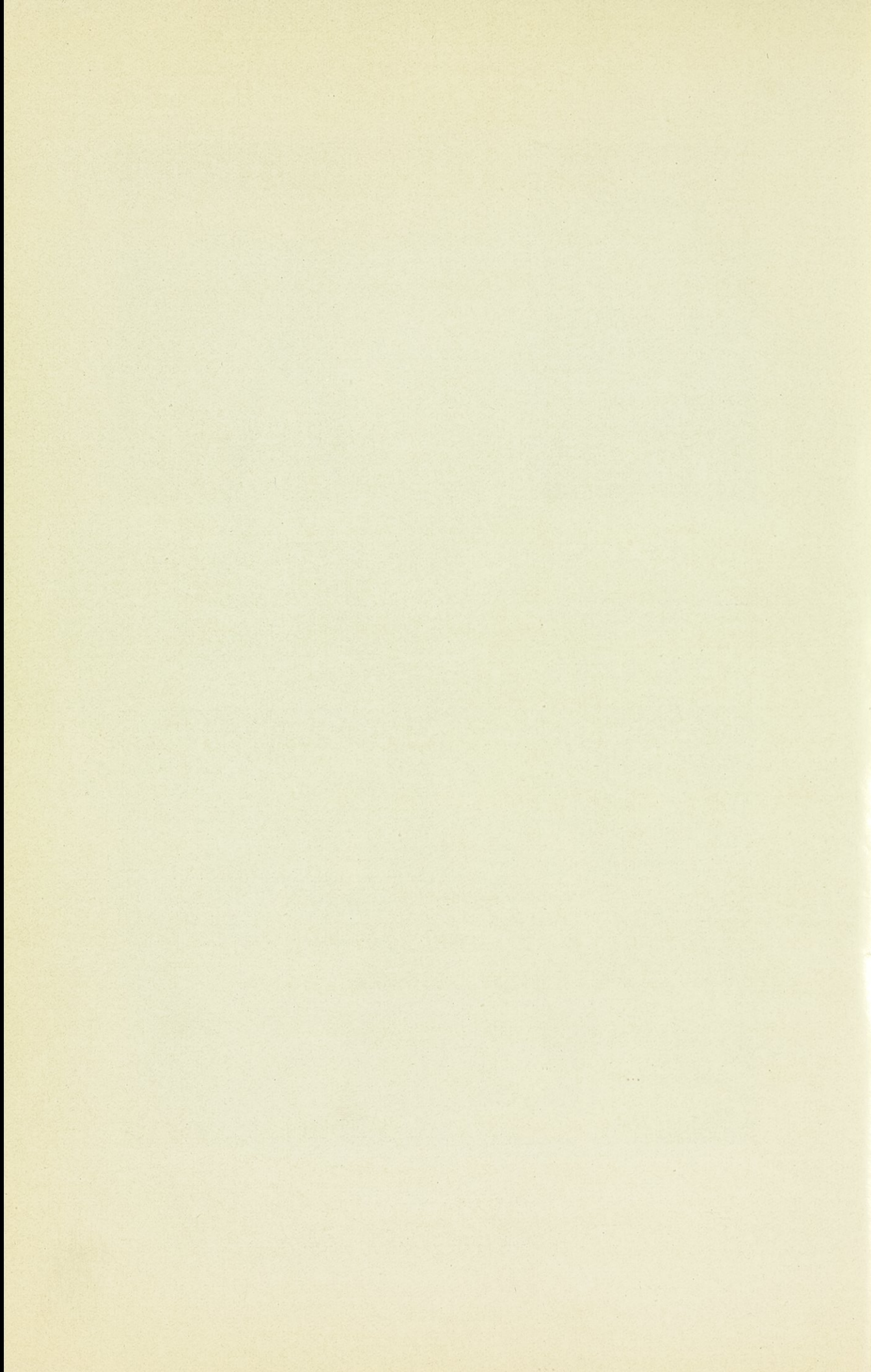
٥ - إيضاح العلامات :

بين هاتين العلامتين يقع عنوان كتاب أو مبحث أو مقالة " "
أو فصل أو اسم مجلة .

« » بين هاتين العلامتين يقع النص المقتبس بحروفه citation, quotation . وأما ما يقع في مجرى النص بين هاتين العلامتين () فإشارة يزيد بها مؤلف هذا الكتاب ، وأما ما يقع بين هاتين العلامتين [] فتصويب من عنده .

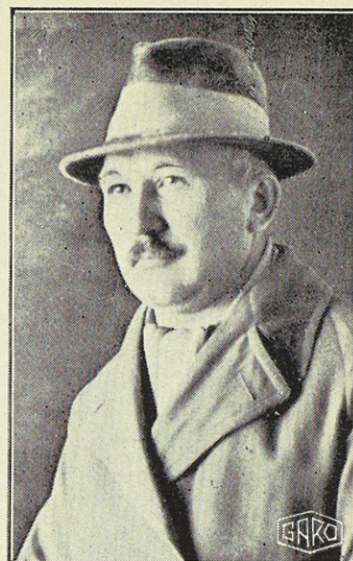
△ تقع هذه العلامة بين اسم علم وتاريخ فتدل على الوفاة . والتقويم المتبع في تاريخ الوفاة هو الهجري ، إلا إذا عُيّن التقويم المسيحي .

(؟) تعقب هذه العلامة ما فيه شك أو خفاء .

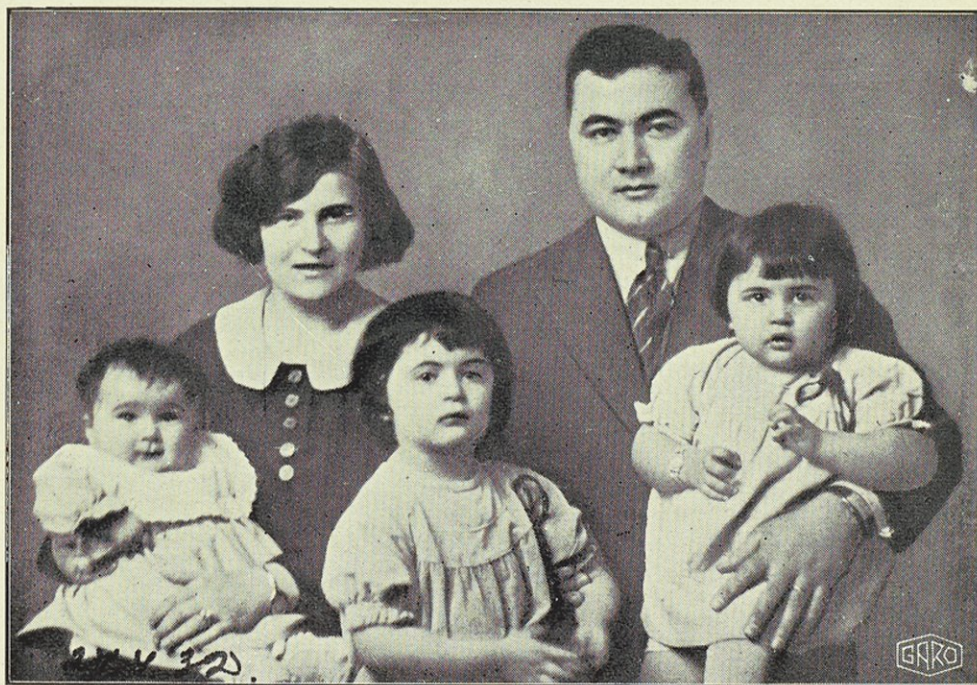




السيد ابراهيم عريف الله
أمين سر « الجمعية الإسلامية بفنلندة »



السيد قبيلي أحمد حكيم
الإمام



أسرة السيد زهور طاهر
رئيس « الجمعية الإسلامية بفنلندة »

مسلمون في فنلندة

تمهيد

رحلتُ ، صيف سنة ١٩٣٤ ، إلى بلاد الشمال ، ولبثت شهراً وبعض شهر بفنلندة . ولشدّ ما دهشت لما أخبرني أحد الفنلنديين الذين تعرفت بهم أن في بلده طائفة من المسلمين ؛ فاستزدته فلم يزد . فما زلت في بحثٍ حتى اتّصلت بالمسيو سوراڤو SORAVUO من موظفي وزارة الخارجية هنالك . نفخّ لحاجتي — حفظه الله — ودفع إلىَّ عنوان « الجمعية الإسلامية بفنلندة » في مدينة هِلْسِنْكِي Helsinki ، عاصمة فنلندة . فاجتمعت برئيس هذه الجمعية : السيّد زهور طاهر ، وإمامها : السيّد حكيم ، وبيعض أعضائها ، غير مرة . وقد لقيتهم أصحاب أوجهٍ طلاقة وأنفسٍ منبسطة .

ولم أقنع بالجلوس إليهم ، بل ذهبت إلى دكاكين أغنيائهم . وقد راعني دكان لبيع الفرو ، وآخر لبيع المصنوعات الترفيّة ، وثالث لبيع الآثار الشرقية . ثم إن السيّد زهور طاهر دعاني إلى داره وأذن لي في الدخول على أهله وقدم لي غداءً شرقياً : لحماً مشوياً وأرزاً .

ومن الأحاديث التي دارت بيني وبين القوم زهاء أسبوع خرجت برسالة وجيزة نشرتها في "مجلة الدراسات الإسلامية"^(١) ، لأخبر العلماء بوجود هذه الطائفة الإسلامية في بلاد الشمال وأقفهم على أحوالها . واليوم أنقل الرسالة إلى العربية . وكان بودى أن أزيد عليها ما جرى لتلك الطائفة منذ سنة ١٩٣٤ حتى سنتنا هذه . إلا أنني لم أرحل إلى فنلندة بعد رحلتي الأولى ، ولم أظفر من طريق المراسلة بشيء يُدوّن .

وقبل نقل الرسالة أحب أن أخبرك أن في إسطنونية — وهي قطر آخر من أقطار الشمال على البحر البلطى — فئة من المسلمين متفرقاً شملهم . وقد سمعت بأمرهم عند مرورى بذلك القطر ، فحاولت أن أهتدى إلى بعضهم ولم أفلح . والعلّة الأولى لهذا أن حكومة إسطنونية لم تهيئ لي أسباب الوصول إليهم ، خلافاً لما صنعتها حكومة فنلندة . وعسى أن ينشر مستشرقو البلدان الشمالية رسالة في تلك الفئة .

الرسالة

في الرابع والعشرين من شهر أبريل سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف ، أعلنت الحكومة الفنلندية أن الإسلام من الأديان المعترف بها في فنلندة ؛ وذلك بقرارٍ وضعته لأجل المسلمين المستقرين بها^(٢) .

(١) *Revue des Etudes Islamiques* السنة ١٩٣٤ المجلد ١ ص ١ — ٨ باريس ١٩٣٤ .

(٢) تصيب هذا القرار بعد الرسالة

وهؤلاء المسلمون من « الترك — التتر » . وهم الضاربون فيما وراء جبال أورال . وقد هجروا إلى الشمال وحلّوا بفنلندة عقب الثورة البلشفية في روسية . وكان نفر من هؤلاء المسلمين يعرفون فنلندة من باب التجارة ، إذ كانوا ينفقون فيها سلعهم ولا سيما النسائج ، قبل قيام الثورة . وعدد هؤلاء المسلمين — في شهر سبتمبر ١٩٣٤ — ستمائة وثمان وأربعون . وأسرههم تزيد على المائة ، وعقدهم منتشر في سبع عشرة مدينة وبلدة . والفئة الكبرى منهم مقيمة بالعاصمة ، ثم بمدينة تيميري Tempere وتُورُكُو Turku .

وأما حرقهم الغالبة عليهم فتجارة الفرو والمنسوجات . وفيهم جماعة من الأغنياء . والمتعارف عنهم أنّهم أهل دعة في الخلق ، واجتهاد في العمل . وقد ظفروا إلّا أقلّهم بالجنسية الفنلندية ، من بعد ما كانوا من الروس . وتراهم يتمتعون كل التمتع بالحقوق المبذولة للفنلنديين أنفسهم ؛ وذلك بفضل قانون حرية العقائد والعبادات السائر في فنلندة . ومن هذا أنّ أبواب الوظائف الحكومية غير موصدة في وجوههم .

إلا أن هؤلاء المسلمين يُفلتون بعض الإفلات من الأحكام الفنلندية . وبيان هذا أنّ لهم إماماً تتم على يديه عقود النكاح وتسجل لديه المواليد والوفيات ، بحيث لا ينتهي خبرها إلى الحكومة سوى مرة في السنة على سبيل الإحصاء .

ثم إنهم يحيون حياة فيها شيء من الاستقلال . ذلك أنهم يؤثرون المصاهرة فيما بينهم ، محتفظين بحكم المهر . غير أنّ نفرًا من المسلمين

تزوجوا فنلنديات مسيحيات ، فدخل بعضهن فى الإسلام ؛ وأما اللاتى
أبين أن يُسلمن ، فقد وقع بينهن وبين بعولتهن شقاق من أجل الولد ،
لما يكون من اضطراب نشأتهم الدينية .

ويعنى هؤلاء المسلمون بتعليم أولادهم أصول الدين وتلقينهم مبادئ
القومية . ولهذا الغرض أنشأوا مدارس يتردد إليها الصبيان والصبايا
مرتين فى الأسبوع أو ثلاثاً ، ليتخرجوا فى أدب الإسلام وتاريخه ، ويقرأوا
أخبار الترك ، ويتلوا القرآن باللغة العربية ، ويحفظوا منه آيات الصلاة .
وأما لغة التعليم فهى التركية ؛ وحروف هجائها هى الحروف « التركية —
اللاتنية » التى وُضعت وشاعت بأمر مصطفى كمال . وأما العربية فلا علم
للأحداث إلا بحروفها وتجويدها .

وهذه المدارس معدودة ؛ فواحدة فى هلسنكى وأخرى فى تمپرى
تعملان تسعة أشهر فى السنة . وسائر المدارس قائمة فى مدن عدد
المسلمين فيها قليل . ولذلك لا تعمل سوى ثلاثة أشهر ، فينتقل المعلمون
من هذه إلى تلك على مدار السنة .

ويُضاف إلى مسعى المدارس أن المسلمين أخذوا بنظام المحاضرات .
وتتناول هذه موضوعات متنوعة : الدين ، والقضية القومية (أى التركية
لا الفنلندية) ، والتاريخ « التركى — الإسلامى » . والمحاضرون هم
معلمو المدارس ، أو من يجوز بفنلندة من المسلمين عامة والترك خاصة ، سَيَّاحًا .

هذا وقد ألف إبراهيم عريف الله — أمين سر « الجمعية الإسلامية الفنلندية » — رسالة باللغة الفنلندية تتصل بالدعاية القومية^(٣) .

وليس لهؤلاء المسلمين مرجع ديني معيّن . فقد استقلوا بأنفسهم عن دولة قازان منذ فرارهم من موطنهم عند قيام الثورة البلشفية . وأما قوميتهم ، فقد صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية إلى أنقرة . ودليل هذا أنهم أقبلوا على حروف الهجاء التركية المرسومة بالعلامات اللاتينية على ما أشرت إليه ، وأنهم يرقبون الحركة القومية في تركيا ويقرأون صحفها والكتب الخارجة فيها ، وأنهم — فوق ذلك — يعظمون عيد الاستقلال التركي (التاسع والعشرين من أكتوبر) ، واليوم القومي (الثالث والعشرين من أبريل) . بقي أن في كل دار مسلمة — على ما قيل لى — صورة لمصطفى كمال .

ليس في فنلندة مسجد جامع . ولكن فيها ثلاثة مساجد صغيرة : أحدها في هلسنكى والثانى في تمبرى والثالث في توركو . وحيث لا يوجد مسجد يجتمع المؤمنون رجالاً ونساءً في مسكنٍ لصلاة الجمعة . غير أن النساء لا يذهبن جماعاتٍ إلى المسجد إلا في عيد الأضحى وعيد الفطر . والمسلمين إمام واحد يعولونه ، ومقره العاصمة : هلسنكى . غير أنه يقصد الحين بعد الحين إلى سائر المدن . فإذا غاب صلى بالناس من المسلمين المتفقهون في الدين .

(٣) نشرت سنة ١٩٣٣ في هلسنكى ، وعدد صفحاتها ٢٢ ، وعنوانها " ايدل أورال (في حركة استقلال الترك المقيمين بايدل — أورال) " .

وفي المولد النبوى يتلو المسلمون القرآن باللغة العربية ، ويخطب الإمام فيهم باللغة التركية ، ويقيم الأغنياء الولائم .

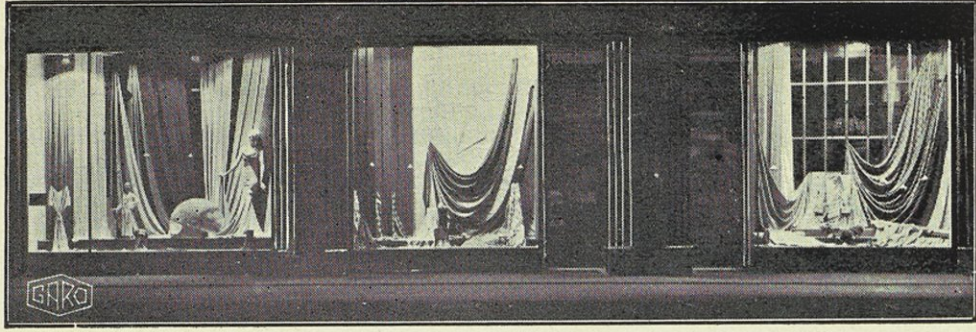
ولا يشرب المسلمون الخمر إلا في الندرة ، مع شدة البرد في البلاد الشمالية . ولا يُسَقَوْنَ خمرًا في الأعياد الدينية والقومية على السواء . وقد قيل لى في لهجة الجزم إن مسلمًا واحدًا لم يؤخذ بجنحة السكر من عشرين سنة .

ولا يتشدد المسلمون في صوم شهر رمضان . ودليل هذا أن الصيام غير واجب في شهرى يونيه ويوليه ، لطول النهار فيهما . وللمسلم إذن أن يصوم شهرًا آخر إذا شاء ، تعويضًا .

ولم يحجّ بيت الله إلا مسلم واحد . وقد قيل لى إن أسباب الحج لهذا العهد مدعاة للقلق ، وإن الحجاج — على قول مسلمى التركستان — يعاملون في أثناء رحلتهم إلى مكة « معاملة الحيوانات » (كذا) .

أما حرية المسلمة فتكاد تعدل حرية المرأة الفنلندية . فهي إذن على جانب عظيم من الاستقلال . إلا أن المسلمين أكّدوا لى أنها لا ترقص مع فنلنديين ، ثم زادوا في لهجة تغلب عليها الكآبة : « هذه حال قد تزول » .

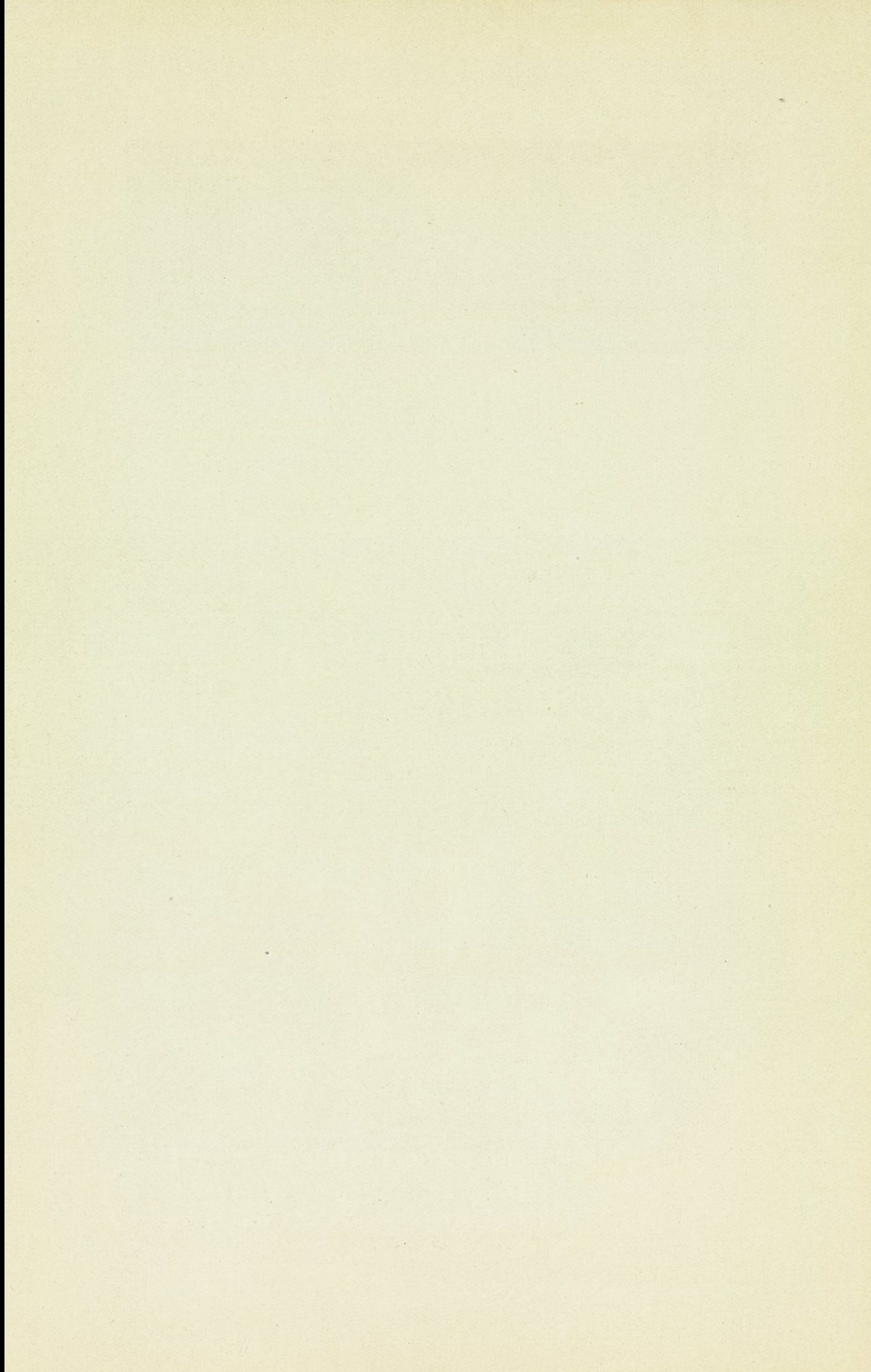
وعلى حسب القانون الفنلندى لا يحق للمسلمة أن تتزوج وهى دون السابعة عشرة . وأما الخطبة فتجرى على أسلوب الخطبة الفنلندية . غير أنى أجهل هل تبلغ مداها الأقصى — أعنى الملامسة قبل العقد — على نحو لونٍ شائع من ألوان الخطبة في بلدان الشمال .



ظاهر دكان السيّد زهور طاهر



زفاف بنت الإمام
(المسلمون فيه مجتمعون)



قرار

من جانب مجلس الحكومة الفنلندية في إثبات الطائفة الإسلامية المقيمة
بفنلندا في سجلات الطوائف الدينية (٤) .

هلسنكي

٢٤ ابريل سنة ١٩٢٥

أخبر المسيو فيلي أحمد حكيم والمسيو عمر عبد الرحيم المقيمان
بهلسنكي وغيرهم من المسلمين ، عددهم خمس وعشرون مقيمون بهلسنكي
وسائر القطر ، مجلس الحكومة الفنلندية أنهم أنشأوا جمعية دينية
اسمها « الطائفة الإسلامية بفنلندا » ، مستندين إلى الفقرة الثالثة عشرة
من قانون حرية العقائد والعبادات . ومقر هذه الجمعية في هلسنكي ،
ثم لها لجنة أسماء أعضائها فلان وفلان .

ومع هذا القرار بيان لأصول الدين الإسلامي ، وقانون الطائفة المذكورة :

أنشأ المسلمون جمعية دينية اسمها « الطائفة الإسلامية بفنلندا » .
وقد وضعوا بياناً لأصول الدين الإسلامي وقانوناً للطائفة المذكورة
وأقروها بالإجماع .

(٤) قد نقل لي هذا القرار من اللغة الفنلندية إلى الفرنسية السيد عريف رامي ،
مدرس اللغة التركية وأصول الدين في المدرسة الإسلامية بهلسنكي .

١ — بيان أصول الدين

- ١ — التشهد .
- ٢ — إقامة الصلوات الخمس كل يوم ، والاجتماع يوم الجمعة في المسجد للصلاة .
- ٣ — الصوم شهراً في السنة .
- ٤ — على الأغنياء أن يعينوا الفقراء .
- ٥ — على الأغنياء أن يحجوا بيت الله .
- ٦ — الامتثال لأوامر القرآن .
- ٧ — المحافظة على صفاء الضمير وسلامة الجسد .
- ٨ — التزام الصدق والأمانة .
- ٩ — احترام النفس البشرية ومجانبة الأذى .
- ١٠ — أن يحبّ المسلم لغيره ما يحبّ لنفسه .

ب — قانون الطائفة الإسلامية بفنلندة

- § ١ — المسلمون المقيمون بفنلندة ، الخاضعون للأحكام المذكورة ، يكونون طائفة .
- § ٢ — الطائفة مكوّنة من أعضاء عاملين ، وأعضاء دون سن الرشد .
- § ٣ — لا يكون العضو عاملاً إلاّ إذا كان مؤمناً . وعلى كل عضو أن يعاون الطائفة على بلوغ غاياتها . ويُعيّن العضو باقتراح اللجنة التنفيذية .

§ ٤ — يبلغ الشاب سن الرشد في الثامنة عشرة . ولا يعين عضواً عاملاً إلا إذا بلغ هذه السن ، وامتحنه الإمام في الدين .

§ ٥ — للأعضاء العاملين وحدهم الحق في تدير شؤون الطائفة .

§ ٦ — للطائفة أن تخلع العضو المرغوب عنه . والخلع يُقرّ بأصوات ثلثي الأعضاء العاملين . وللمخلوع أن يسأل اللجنة التنفيذية الفصل في أمره خلال ثلاثين يوماً من تسلمه كتاب الخلع . وفصل اللجنة نهائياً .

§ ٧ — يُعيّن للجنة التنفيذية وسائر « هيئات » الإدارة أعضاء عاملون أمناء . ولا يشغل وظيفة الوعظ إلا الذين ترشحهم اللجنة التنفيذية .

§ ٨ — تجتمع الطائفة للصلاة يوم الجمعة . وأما أيام الأعياد الدينية والقومية فتحددها اللجنة .

§ ٩ — يرجع تدير شؤون الطائفة إلى الجمعية العمومية . وتجتمع اللجنة كلما اقتضى الأمر أو باقتراح مخطوط من قبل خمسة أعضاء . ويدعى الأعضاء الذين لا يقيمون بهلسنكي برسالة مسجلة في مدة لا تقل عن أربعة عشر يوماً قبل اجتماع الجمعية العمومية . ويدعى الأعضاء المقيمون بهلسنكي في مدة لا تقل عن ثمانية أيام بإعلانٍ يُلصق بمنضدة معلومة في حجرة الاجتماع .

§ ١٠ — تجتمع الجمعية العمومية مرة في السنة (شهر فبراير) .

§ ١١ — لكل عضو صوت . وتُبرم القرارات بالأكثرية . وللرئيس أن يفصل إذا تعادلت الأصوات .

وأما القرارات الدينية فلا تُبرم إلا بأكثرية ثلثي الأصوات .
وتقدم الاقتراحات المتعلقة بالشؤون الدينية إلى اللجنة قبل الموعد
المضروب لاجتماع الجمعية العمومية بشهر .

§ ١٢ — لا يُقرّ إلغاء الطائفة إلا بأكثرية خمسة أسداس الأصوات .
وإذا أُلغيت الطائفة نُقل ما تملكه الى جمعية الإحسان .

§ ١٣ — يفتح رئيس اللجنة جلسة الجمعية العمومية . ثم ينتخب رئيسها
أمين سرّها العام . ويراجع محضر الجلسة في أثناء انعقادها .

وتكوّن اللجنة التنفيذية من الإمام وأربعة أعضاء ينتخبون
عند انعقاد الجمعية العمومية ، ومدة قيام اللجنة ثلاث سنوات .
وتختار اللجنة من أعضائها رئيساً وأمين سرّاً عاما لسنة .

§ ١٤ — تجتمع اللجنة بدعوة من الرئيس . وتُبرم قراراتها إذا حضر ثلاثة
من أعضائها ؛ ويراجع محضر الاجتماع في أثناء الجلسة .

واللجنة موكول إليها تدير الشؤون الطائفة في سبيل مصلحة
الطائفة وحدها . ثم إنها مسؤولة عن رعاية ما تملكه وعن تنفيذ
جميع القرارات التي تبرمها الجمعية العمومية .

§ ١٥ — يمثّل الطائفة — من الناحية القانونية — رئيس اللجنة . وإذا
غاب فالإمام يحل محله . وللرئيس والإمام وحدهما حق التوقيع
باسم الطائفة .

§ ١٦ — كل عضو من أعضاء اللجنة متَّهم أمام محكمة الجنايات يخلع من اللجنة على الفور . وللعضو المخلوع أن يسأل الجمعية العمومية النظر في شأنه . فتعقد الجمعية على عجل ، ولها أن تبطل قرار اللجنة .

وللجنة أن تخلع العضو الذى يهمل تأدية واجبه ، أو العضو الذى يحيا حياة غير صالحة ، وذلك بأكثرية ثلاثة أرباع الأصوات .

§ ١٧ — يقوم معاونون مطَّوعون بتأدية نفقات الطائفة غير المنظورة . ولربما فُتِح باب الصَّدَقَةِ : فكلُّ وما ملكت يده .

§ ١٨ — أما حسابات الطائفة فتثبتها لجنة مراجعة فى أثناء خمسة عشر يوماً .

§ ١٩ — يعقد نكاح المسلمين بحسب الشريعة الإسلامية . وبحسب هذه الشريعة تسيَّر الشؤون الخاصة بالدين .

§ ٢٠ — يجرى الدفن على حسب العرف الإسلامى . ويدفن الموتى فى المدفن الذى يختاره أهل الميت ، ويكون المدفن الإسلامى على الغالب .

§ ٢١ — لا بد من إخبار الإمام بالمواليد والوفيات .

§ ٢٢ — على الأهل أن يكلوا إلى الطائفة تثقيف الأحداث ، ويشتركوا بأموالهم فى ذلك بقدر استطاعتهم .

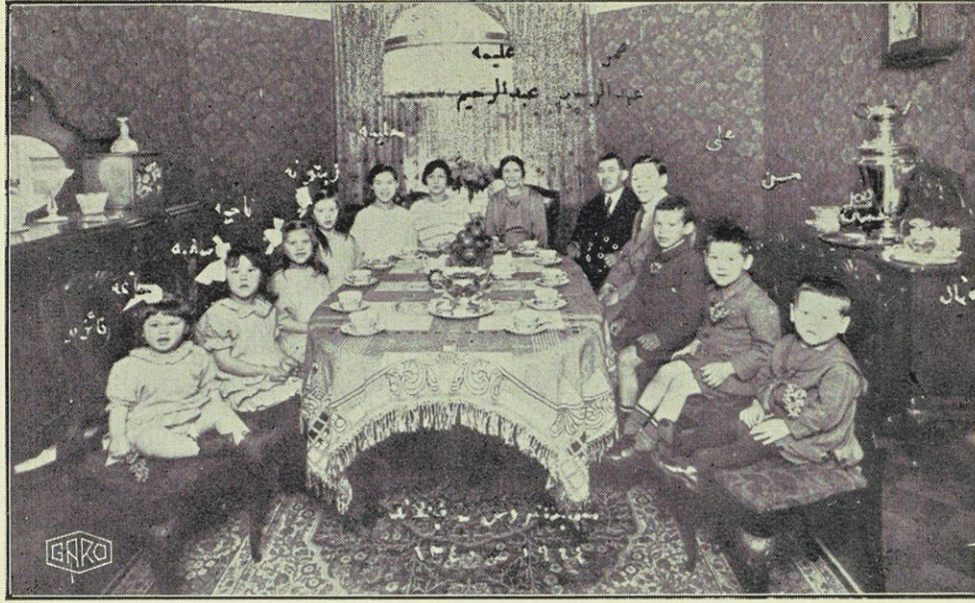
§ ٢٣ — اللغة الرسمية للطائفة هى الفنلندية . على أن اللغة القومية ، وهى التركية ، تستعمل عند انعقاد الجمعية واجتماع اللجان .

§ ٢٤— إذا وقع شقاق بين عضوين فليُنْب كل منهما أحداً عنه .
ويُضاف إلى النائبين عضو ثالث يكون منهما بمكان الرئيس .
فينظر الثلاثة في الشقاق . وعلى العضوين المتشاقين أن يخضعوا
لحكمهم . وإن لم يُنب العضوان أحداً عنهما مدة ثلاثين يوماً ،
أو اختلف النائبان في اختيار الرئيس ، عيّنت اللجنة التنفيذية نفسها
الرئيسَ والنائبين .

§ ٢٥— يُنظر في الأحوال التي لم تثبت في هذا القانون بمقتضى قانون
حرية العقائد والعبادات الصادر في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ .

هلسنكي ، ٢٤ أبريل ١٩٢٥

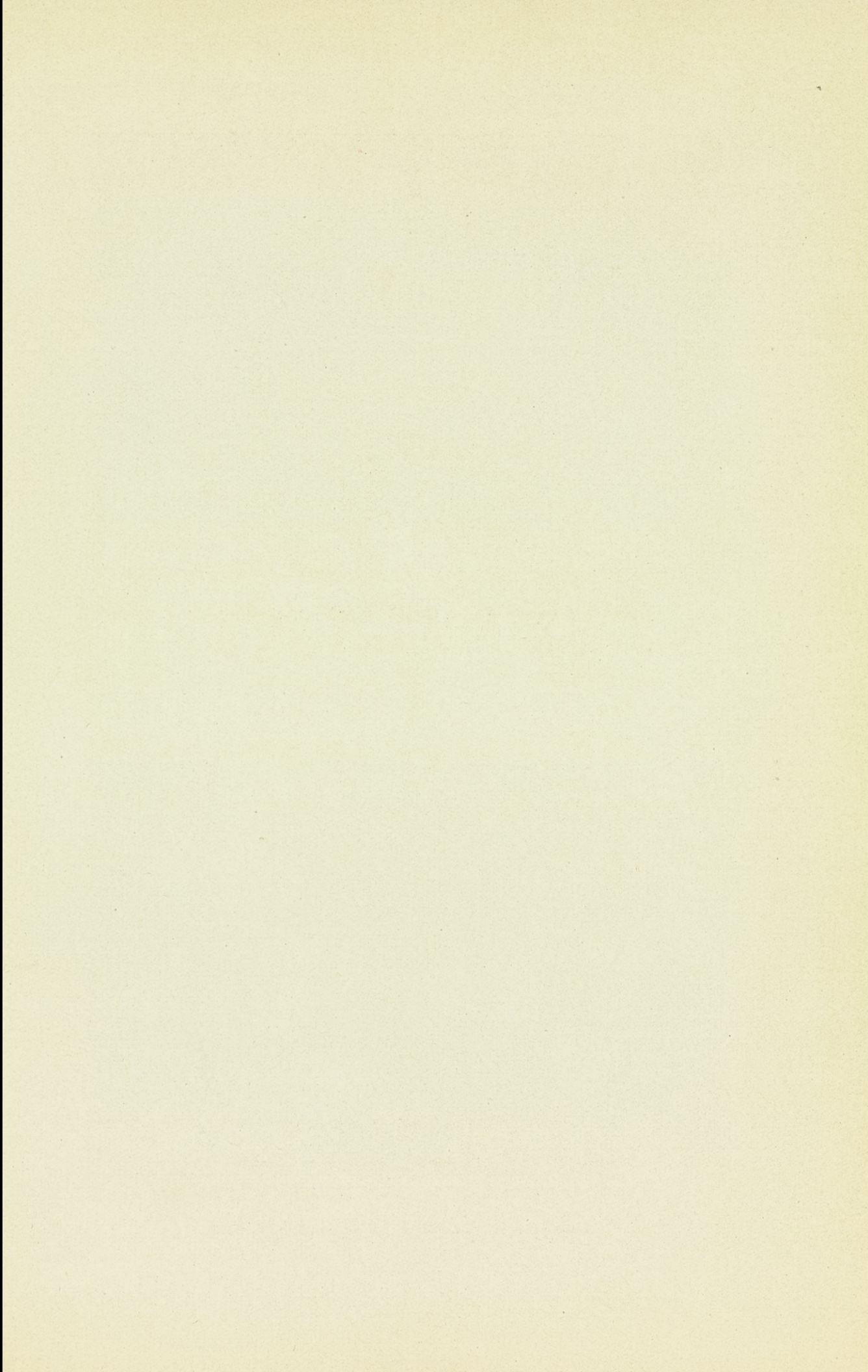
(الإمضاء) وزير المعارف



أسرة السيد عمر عبد الرحيم
(وله ثلاث بنات آخر ، وذلك في سنة ١٩٣٤)



فرقة كرة القدم واسمها : « أَلِطْن — أَوْرِضَا »



مكارم الأخلاق

(تعبير أخذ يرجع إلى الأخلاقيات التقليدية)*

مجل المبحث : رواج هذا التعبير — مدلوله اللغوي — مصدره —
مضمونه — علاقته بالفتوة والمروءة — اتصاله بالجاهلية —
الخلاصة : تعبير محض إسلامي ، لدن ، مبهم ، أخذ — الخاتمة .

رواج
هذا
التعبير

إنك تصيب في مخلفات الأدب العربي خمسة عشر كتاباً عنوانها :
" مكارم الأخلاق " أو نحو ذلك ، على أن تهمل المؤلفات الفارسية والتركية
الموسومة بهذا العنوان ، الجارية على مثال تلك الكتب ^(١) . وأربعة من هذه الكتب

(*) ألقى هذا المبحث مختصراً على سبيل الإمداد communication في مؤتمر
المستشرقين المنعقد في رومة ، شهر سبتمبر ١٩٣٥ ، ثم نشر باللغة الفرنسية في " مجلة
الأكاديمية الوطنية للعلوم " في رومة ، السلسلة ٦ ، المجلد ١٣ الجزء ٥ — ١٠ ،
Rendiconti della R. Accademia Nazionale dei Lincei, serie : ١٩٣٧
sesta — vol. XIII — fascicolo 5 - 10, 1937 - XV, pag. 411 - 425

(١) دونك جدولاً مختصراً فيه إثبات بعض تلك المؤلفات :

١ — فلوجل Fluegel فهرس " المخطوطات العربية والفارسية والتركية
المخزونة في دار الكتب الملكية في فينة " Wien ١٨٦٧ ج ٣
ص ٢٩١ رقم ١٨٥٩ ، ص ٣٠٨ رقم ١٨٨٢ .

العربية مطبوعة ، أصحابها : الخرائطي^(٢) والثعالبي^(٣) والباهلي^(٤)
والطبرسي^(٥) . وخمسة منها مخطوطة ، أصحابها : ابن أبي الدنيا^(٦)

ب — " فهرس دور الكتب في القسطنطينية . . . " *Kataloge oeffentlicher Bibliotheken in Stambul und seinen Vororten nebst*

Skutari مجموعة آيا صوفيا ص ٩٧ ، ١٢٥ ، ١٧٠ ، ١٧٥ .

ج — إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري " كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار " كلكته ١٣٣٠ ص ٥٤٨ رقم ٣٠٨٨ .

د — " أخلاق جلالى بلوامع الاشراق في مكارم الأخلاق " لمحمد بن أسعد دوانى، ط Muhammad Kazini Shirazi كلكته ١٩١١ .

(٢) " مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها ومرضيها " تأليف أبى بكر محمد بن جعفر بن سهل السامري الخرائطي △ ٣٢٧ . مصر ١٣٥٠ ، ٩٥ ص —
مذكور فى حاجى خليفة " كشف الظنون " ط Fluegel ج ٦ ص ٩٨ .
ياقوت " معجم الأدباء " ط Margoliouth ج ٦ ص ٤٦٤ . بروكلن Brockelmann
" تاريخ الآداب العربية " G. A. L. ١٨٩٨ ج ١ ص ١٥٤ . ذ " تكملة " *Suppl.* ليدن ١٩٣٧ ج ١ ص ٢٥٠ ، ٩٤٧ .

(٣) " مكارم الأخلاق " لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي △
٤٢٩ . ط لويس شيخو فى مجلة " المشرق " بيروت ١٩٠٠ العدد ٣ ص
٢٨ إلى ٣١ — المذكور فى بروكلن ك ك " تكملة " ج ١ ص ٥٠٣ .

(٤) " الذخائر والأعلاق فى آداب النفوس ومكارم الأخلاق " لأبى الحسن سلام بن
عبد الله . . . الباهلي △ ٥٤٤ . مصر ١٢٩٨ ، ٢٣٠ ص — المذكور فى بروكلن
ك ك " تكملة " ج ١ ص ٤٨١ (اقرأ : الأعلاق لا « الأغلاق ») .

(٥) " مكارم الأخلاق " لرضى الدين أبى على . . . الطبرسى △ ٥٤٨ . لهذا
الكتاب طبعات كثيرة : ظ " فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار (دار
الكتب المصرية) " مصر ١٩٢٤ ج ١ ص ٣٢ ي ي ؛ بروكلن ك ك
" تكملة " ج ١ ص ٧٠٩ — المذكور فى " كشف الظنون " ج ٦ ص ٩٨ .
(مرجعنا فى هذا البحث إلى ط مصر ١٣١١) .

(٦) " مكارم الأخلاق " لأبى بكر بن عبد الله . . . بن أبى الدنيا △ ٢٨١ .
ظ آلفرت Ahlwardt " فهرس المخطوطات العربية (فى برلين) "
Arab. Hss. رقم ٥٣٨٨ — المذكور فى بروكلن ك ك ج ١ ص ١٥٤ ؛
ك ك " تكملة " ج ١ ص ٢٤٧ .

والطبراني^(٧) وابن كنان الدمشقي^(٨) والتستري^(٩) ، وخامسهم مجهول^(١٠) .
وأما الكتب الستة الأخرى فالذى وصل إليه بحثي أنها ضاعت ؛
ولتجديها مُثَبَّتَةً في بطون الفهارس المتداولة بين جمهور العلماء^(١١) .

(٧) مكارم الأخلاق لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني △ ٣٦٠ . ظ آفرت
ك ك رقم ٥٣٩٠ — مذكور في بروكلن ك ك ج ١ ص ١٦٧ ؛ ك ك
" تكملة " ج ١ ص ٢٧٩ .

(٨) " مكارم الخلاق لأهل مكارم الأخلاق " لمحمد بن عيسى بن محمد بن كنان
الدمشقي △ ١١٥٣ . ظ آفرت ك ك رقم ٣٣١٥ — مذكور في
بروكلن ك ك ج ٢ ص ٢٩٩ ؛ ك ك " تكملة " ج ٢ ص ٤١٠ .

(٩) " مكارم الأخلاق والسياسة " للتستري (شمس الدين △ ؟ ، راجع المخطوطة
ص ٢ س ٣) . ظ " فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار (دارالكتب المصرية) "
ج ١ ص ٣٦٣ (تصوف وأخلاق دينية) رقم ٩٩٤ ؛ ٣١ ورقة ،
٢١ × ١٧ (رقم ١٣٥٣ أيضاً ، ولكن مرجعنا في هذا المبحث إلى
رقم ٤٩٤) .

(١٠) " مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدائع الأوصاف وغرائب التشبيهات " .
(إنما الجانب الأول من هذا الكتاب أى « مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب »
يلحق بمكارم الأخلاق ، وأما الجانب الثانى أى « بدائع الأوصاف وغرائب
التشبيهات » فيدخل في باب « البيان والبديع ») . ظ " فهرس الكتب الشرقية
لدار الكتب (فى ليدن) " *Dozy, Catalogus cod. orient., no CCCC IX*
رقم ٤٠٩ .

تنبيهه — يذكر آفرت Ahlwardt (ك ك ج ١٧ ص ١٤ رقم ٥٤٠٣)
مخطوطة أخرى جعل عنوانها " مكارم الأخلاق " . وقد تبين لى بعد المراجعة
أن صاحب هذه المخطوطة إنما ينقل كلام الطبرسى في كتابه " مكارم الأخلاق "
(المذكور قبل) وقد أورد اسمه في ص ٨٤ .

(١١) ١ — " مكارم الأخلاق " لرضى الدين النيسابورى .
ب — " مكارم الأخلاق " لأبى منصور أحمد محمد بن محمد بن عبد الواحد
ابن الصباغ — مذكوران في " كشف الظنون " ج ٦ ص ١٠٩٨ ؛
آفرت ك ك ج ٥ ص ١٨ رقم ٣٥ .

هذا فضلاً عن تأليف وقع فيها تعبير « مكارم الأخلاق » عنواناً لباب من الأبواب أو فصل من الفصول . وهذه التأليف أدبية ودينية وأخلاقية وصوفية (وتصيها في مجرى هذا البحث) . بَقِيَ أن ذلك التعبير جار على الأقلام جميعها مهما اختلفت منازعها ، قديماً^(١٢) وحديثاً^(١٣) ؛ حتى الشعراء أداروها على ألسنتهم ، من ذلك قول القائل :

ج — " مكارم الأخلاق " لعبد الملك بن حبيب — مذكور في " فهرس " أبي بكر بن خير Abu Bequer ben Khair, *Index librorum* ... Saragosse 1894 ص ٢٩٠ .

د — " مكارم الأخلاق ومذامم الأخلاق " لأحمد بن محمد بن خالق البرقي — مذكور في الكتتورى " كشف الحجب ... " ص ٥٤٧ رقم ٣٠٨٧ .
هـ — " مكارم الأخلاق " لأحمد بن أبي عبد الله بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن و — " مكارم الأخلاق وطيب الأعراق " لسليمان بن بنين — مذكوران في " معجم الأدباء " ج ٢ ص ٣٢ ، ج ٤ ص ٢٥١ .

(١٢) مثلاً : ابن المقفع " الأدب الصغير " ط أحمد زكى (باشا) الاسكندرية ١٣٣٠ ص ١١ . البيهقي " المحاسن والمساوى " مصر ١٩٣٢ ص ٣٠ . الجاحظ (؟) " كتاب التاج " ط أحمد زكى (باشا) مصر ١٩١٤ ص ٧١ . ابن خلدون " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ ص ٣٠٣ ، ٣١٠ . وغيرهم كثير ، وسترد أسمائهم في سياق الاستدلال .

(١٣) مثلاً : " المجلة الأسبوعية " J.A. باريس اكتوبر — ديسمبر ١٩٣٤ العدد ٢٢٥ ص ٢٦٠ . بطرس البستاني " قصة أسعد الشدياق " بيروت ١٨٧٨ ط ثانية ص ١٢٢ . محمد عبده " شرح نهج البلاغة " مصر مطبعة الرحمانية ج ١ ص ٢٢٠ . محمد كرد على " الإسلام والحضارة العربية " مصر ١٩٣٤ ص ٢٨١ . أنستاس مارى الكرملى " بحث ... " مجلة " المقتطف " يوليه ١٩٣٥ ص ١٢٦ . خليل ثابت " ياقوت صروف " " المقتطف " ديسمبر ١٩٣٧ ص ٥١٤ . بشر فارس مجلة " الهلال " ابريل ١٩٣٤ ص ٦٩٨ . ن مجلة " الرسالة " السنة ٧ ص ٢٣٣ . هذا وقد ورد هذا التعبير في كتب الأخلاقيات المؤلفة على الطريقة الإسلامية التقليدية في هذا العهد ، فنزلت فيها منزل « مبدأ » إسلامى : ظ صالح حمدى حماد " أدب الإسلام " مصر ١٩٠٧ ص ١٩٩ ؛ على فكرى " تقويم الأخلاق " مصر ١٩٣٥ (ظ الغلاف) . ويضاف إلى هذه الكتب مسرحية محمود شكرى : " رواية مكارم الأخلاق " مصر ١٩٢٩ .

لو أننى خيَّرت كلَّ فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق^(١٤).

ثم إن ذلك التعبير انسلَّ من مطاوى الكتب ليجرى في مذاهب الحياة العامة . ففي مصر اليوم جماعة اسمها « جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية » أنشأها الشيخ زكى الدين سَنَد ، سنة إحدى وتسعمائة وألف ، وجعل لها مجلة كان لها شأن عند الأزهريين في ذلك العهد^(١٥) . والغاية التي تجرى إليها هذه « الجمعية » تعليم عامَّة الناس وإرشادهم . فإن كان ذلك كذلك ، فما الذى نفث في تعبير « مكارم الأخلاق » هذا السحر الأخاذ بالأقلام والأذهان ؟

مما لا يخفى على البصير باللغة أن لفظة أخلاق جمع لخلق أو خُلُق^(١٦) .
مدلوله
الغوى
ومؤدَّى هذين اللفظين ، على السواء : الطبع والسجَّة^(١٧) . وفي القرآن شاهد هذا : « وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ، « وَإِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ . »^(١٨) وفي الأدب كذلك^(١٩) .

- (١٤) الاصفهاني " محاضرات الأدباء " مصر ١٩٠٨ ج ١ ص ١٣٣ . ثم :
أحب مكارم الأخلاق جهدى وأكره أن أعيب وأن أعابا
(الماوردي " أدب الدنيا والدين " مصر ١٣٣٩ ص ١٩٥) . ثم ز بيت
عصرى لحافظ إبراهيم " ديوان " مصر ١٩٣٧ ج ١ ص ٢٨٠ ؛ وآخر لحليل مطران ،
صحيفة " الأهرام " ٣٧/٤/٢٩ .
(١٥) على ما أخبرني به الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب للجامعة فؤاد الأول .
(١٦، ١٧) ظ المعجمات مادة خ ل ق . (وكذلك الخليفة) .
(١٨) سو ١٨ آ ٤ ؛ سو ٢٦ آ ١٣٧ .
(١٩) مثلاً : الجاحظ " البيان والتبيين " مصر ١٣٣٢ ج ٢ ص ٥٢ . " أدب الدنيا والدين " ص ١٨٧ . البحترى " ديوان " بيروت ١٩١١ ص ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ .

ومما لا حاجة به إلى التدليل أن الأخلاق لفظة شاعت في كتب
الفلاسفة على تباين مشاربهم ، فقليل « علم الأخلاق » و « تهذيب
الأخلاق » و « الحكمة الخلقية »^(٢٠) و « الأخلاقيات »^(٢١) .
وينظر هذه التعبيرات : في الفرنسية morale, éthique وفي الإنجليزية ethics
وفي الألمانية Sittenlehre, Ethik .

وأما لفظة المكارم ، فكانها دون لفظة الأخلاق وضوحاً ، وإليك
بيان ذلك :

إن الكرم نقيض اللؤم أصلاً^(٢٢) (وقد أفاد الجود من قبيل
الاتساع في القول^(٢٣)) . والكرم ومشتقاته المختلفة تحتل معنى الرفعة
في القرآن (نحو « الكريم » وهو من أسماء الله وصفاته ، و « أكرم »

(٢٠) التهانوي " كشف اصطلاحات الفنون " كلكته ١٨٦٢ ص ٤٤٨ .

(٢١) الشهرستاني " الملل والنحل " لندن ١٨٤٢ ج ٢ ص ٢٧٨ ومصر ١٣٤٧
(بهامش " الفصل في الملل والأهواء والنحل " لابن حزم) ج ٣ ص ٢٧ .

(٢٢) " الصحاح " مصر ١٢٩٢ ج ٢ ص ٣٢٩ . " لسان العرب " ج ١٥
ص ٤١٤ . " تاج العروس " ج ٩ ص ٤١ . ومن ذلك : الكريم
نقيض اللئيم (ظ الثعالبي " مكارم الأخلاق " ص ٢٩ ، وقول المتنبي " ديوان "
بيروت ١٣٠٥ ص ٣٨٧ :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقول الشاعر القديم " المفضليات " مصر ١٩٢٦ ص ٨٢ » ٠٠٠ أهين
اللئيم وأحبو الكريما .

(٢٣) ابن سيده " المحقق " ج ٣ ص ٢ . ز " حماسة أبي تمام " مصر ١٣٢٢
ج ٢ ص ١٢٢ (الشرح) ؛ وفي الشعر القديم : ذ ج ٢ ص ١٩٨ .

وهو من صفات الله^(٢٤) . وأما لفظة المكارم (ج مكرمة ، وقيل :
مكرم^(٢٥)) فتنتطوي على معنى يقف من الضعة موقف الضد من
الضد^(٢٦) ؛ وإليك بيتاً مصداقاً لذلك :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمام الأنصار^(٢٧) .

فالمكارم في هذا البيت مقرونة بلفظة العلا^(٢٨) ، فضلاً عن أنها تقابل
اللؤم . وقد كان معنى العلا يندرج تحت لفظة المكارم من زمن بعيد ،

(٢٤) ظ " القرآن " مثلاً : سو ٢٥ ، آ ٧٢ ؛ ٤٩ ، ١٣ ؛ ٥٥ ، ٢٧ ،
٧٨ ؛ ٥٦ ، ٧٦ ؛ ٨٠ ، ١٥ ؛ ٩٦ ، ٣ .

وتأمل قول حسان بن ثابت (" شرح ديوان ... " مصر ١٩٢٩ ص ٣٧٩) :
لم يولوا حتى أيدوا جميعاً في مقام وكلهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظاً أن يقيموا ، إن الكريم كريم

(٢٥) " الصحاح " و " لسان العرب " مادة كرم : « قال الكسائي : المكرم
والمكرمة ، قال : ولم يجيء على مفعول للمذكر إلا حرفان نادران لا يقاس
عليهما : مكرم ومعون » ؛ « وقال الفراء : هو جمع مكرمة ومعونة وعنده
ان مفعلا ليس من أبنية الكلام » .

(٢٦) تأمل قولهم : « أكرمنا ولا تنها » (الواحدى " أسباب النزول " مصر
١٣١٦ ، ص ٢٤٣) .

(٢٧) " الأغاني " مصر ١٢٨٥ ج ١٣ ص ١٤٨ .

(٢٨) ويقول المتنبي (" ديوان " ص ٥٥٣) :

فلما أنفخنا ركزنا الرماح بين مكارمنا والعلى

ثم انظر إلى قول الشاعر القديم (" المفضليات " مصر ١٩٢٦ ص ٨٢) :
« وأبني العلى بالمكرمات ... » ، وقول أبي سعيد الرستمي (الشعالي " مرآة
المروءات " مصر ١٨٩٨ ص ٢٢٧) : « وأنت أخو المكارم والعوالى » .
وتأتى لفظة الخيرات بدلا من لفظة العلا أو المعالى (الرنخشمري " الفايق "
حيدر آباد ١٣٢٤ ج ٢ ، ص ١٩٨) : « يا عمر الخيرات والمكارم » .

ألا تذكر قول الشاعر، شاعر وفد بني تميم، عند مفاخرة الرسول :
أتيناك كما يعرف الناس فضلنا إذا فآخرونا عند ذكر المكارم^(٢٩) ؟
ولعل الخوارزمي نظر إلى مثل هذا البيت يوم جعل عنوان كتاب
من كتبه : " المكارم والمفاخر " .

إنَّ جلَّ من تكلموا على « مكارم الأخلاق » استندوا إلى هذا الحديث
النبوي : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »^(٣١) . وقد وقع هذا

مصدره

(٢٩) " أسباب النزول " ص ٢٩١ .

(٣٠) وأما نقل تعبير مكارم الأخلاق إلى اللغات الأجنبية ، كالفرنسية مثلاً ، فن
الانحراف عن الدقة أن يقال bonnes mœurs (= الأخلاق الحسنة) ؛
(ط مثلاً : كارا دي فو Carra de Vaux " دائرة المعارف الإسلامية " E. I.)
ط أولى ، هولندية ، مادة " أخلاق ") . وللألماني آلفرت Ahlwardt ،
" فهرس الكتب العربية ... " ج ٥ ص ٤ س ٢ ، ترجمة أخرى أقرب إلى
الصواب وهي : gute und edle Eigenschaften ؛ فصفا (= شريفة)
أدق من صفا bonnes (= حسنة) . والترجمة الأولى ، وهي الشائعة
حتى اليوم ، تنحرف عن الدقة لا من ناحية اشتقاق اللفظين : مكارم وأخلاق ،
ولكن من ناحية مدلولهما متى اقترنا . وعندى أن « الأخلاق الحسنة »
دون « مكارم الأخلاق » . والترجمة الوافية لهذا التعبير هي : éminentes vertus
(= الفضائل الرفيعة) .

(٣١) اطلبه في المتقى " كنز العمال " حيدر آباد ١٣١٢ ج ٢ ص ٥ رقم ٩١
(عن " السنن " للبيهقي) . ولفظ هذا الحديث في الزرقاني " شرح الموطأ "
مصر ١٣١١ ج ٤ ص ٩٧ : « وللطبراني عن جابر مرفوعاً : ان الله بعثني
لتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال » .
ولهذا الحديث سلطانه اليوم : يُستشهد به (مثلاً : عبد العزيز البشري
" أعظم يوم ... " مجلة " الرسالة " السنة ٧ ص ٤٩١) . ويتخذ ، في
مصر على الأقل ، تحفة خطية تعلق في البيوت والخوانيت على سبيل التحلية
والتبرك والتعوذ .

الحديث في سياق تأليف القوم موقع النغم الحادى Leitmotiv في مجرى لحنٍ من الألحان . وثمة بعض أقوال منسوبة إلى الرسول فيها ذلك التعبير^(٣٢) ، ثم قول منسوب إلى علي^(٣٣) وآخر إلى

(٣٢) وهى (أى التى عثرتُ عليها) :

١ — « مكارم الأخلاق من أعمال (أهل) الجنة » (" كنز العمال " ج ٢ ص ٢ رقم ١) عن " الأوسط " للطبراني . ز ابن أبي الدنيا " مكارم الأخلاق " ص ٢ ؛ السلمي ٤١٢ " كتاب الفتوة " خ آيا صوفيا ٢٠٤٩ ص ٨٠ [ظ بعد (ح) ٥٩] .

ب — « حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب » . (السهروردي " عوارف المعارف " مصر ١٣٤٨ ، بهامش " إحياء علوم الدين " ج ٢ ص ٣٤٣) . ز " إحياء ... " ج ٢ ص ٣١٤ : « إن الله حفّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ... » ؛ ظ هنا " إحياء " ض ك (ح) رقم ٣ من " المغنى عن حمل الأسفار ... " لزين الدين العراقي .

ج — « إن الله تبارك وتعالى خص رسوله بمكارم الأخلاق فامتنحوا أنفسكم » (الطبرسي " مكارم الأخلاق " مصر ١٣١١ ص ٢٩٢) .

د — « إن مكارم الأخلاق التزاور فى الله وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده وإن لم يجد عنده إلا جرعة من ماء . وإن احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر لم يزل فى مقت الله تعالى يومه وليلته » (السلمي ض ك) .

وتجد أقوالاً أخرى فى " كنز العمال " ج ٢ ص ٢ رقم ٢ (عن " شعب الإيمان " للبيهقي) ، ص ٥ رقم ١١٣ (عن " المستدرک " للحاكم) ، ص ١٣٤ ي رقم ٣٢٦٨ (عن " تاريخ بغداد " لابن النجار و " دلائل النبوة " للبيهقي و " المستدرک " للحاكم) .

ه — ثم ظ ما يأتى من الحواشى .

(٣٣) « إن الله جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلّاً بينه وبينكم » (" أدب الدنيا والدين " ص ١٩٥) .

عائشة^(٣٤) وآخر إلى جبريل^(٣٥) .

وإذا نحن انصرفنا — أول الأمر — إلى الأحاديث المنسوبة إلى الرسول لم نصبها في الكتب الستة ، كما استبان لك من الحواشي . ومما أسوقه — فوق هذا — أني سألت الأستاذ المستشرق ا . ي . قنسنك WENSINCK هل عثر على ذلك التعبير فيما لم من أشتات الأحاديث التي يرتبها في « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » ؟ فكتب إليّ — حفظه الله — يقول : « لم يرد تعبير مكارم الأخلاق إلا مرة واحدة في المعتمد من كتب الحديث ، وذلك في قصة إسلام أبي ذرّ ، والتعبير من كلام أخى أبي ذرّ »^(٣٦) .

(٣٤) « إن مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق البأس في طاعة الله ، وإعطاء السائل [السائل] ، ومكافاة الصنيع ، وصلة الرحم ، وأداء الأمانة ، والتذم للجار ، والتذم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء . » (ابن أبي الدنيا " مكارم الأخلاق " ص ٤ م) . ولهذا الحديث روايات تختلف ألفاظها شيئاً : ظ ، ض ك ، و " كنز العمال " ج ٢ ص ١٣٥ رقم ٣٢٧٦ . (إن صاحب " كنز العمال " دون هذا الحديث على وجه آخر في بعض ألفاظه ، منسوباً إلى الرسول ، عن " شعب الإيمان " للبيهقي ، وذلك في موضع آخر : ج ٢ ص ٢ رقم ٢ . وكذلك صنع الخوارزمي ، " المسكرم والمفاخر " ص ٣١ ؛ والمهروردي ، ج ٢ ص ٣٢٩ ي .)

(٣٥) « روى محمد بن حارث الهلالي أن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إني أتيتك بمكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة ، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (" مكارم الأخلاق " خ ليدن ص ٢ م — ٣ . " أدب الدنيا والدين " ص ١٩٥) . ومما يتصل بأمر هذا الحديث ما في " عوارف المعارف " ج ٣ ص ١٠٠ : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي ، ثم أمرني بمكارم الأخلاق ، فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

(٣٦) المستشرق قنسنك هو الجامع المجتهد للحديث الصحيح ، وصاحب « مفتاح كنوز السنة » (مصر ١٩٣٣ ، نقله محمد فؤاد عبد الباقي إلى العربية)

وإذا أنت أهملت عند الحديث الواقع في سياق تأليف المسلمين موقع النغم الحادى في مجرى لحنٍ من الألحان ، فقلتَ بآنى لم أذهب في تمحيصه المذهب المرضى ، إذ لم أنظر في إسناده ؛ قلتُ إني لا أعرض لهذا الحديث على جهة اعتبار حكمٍ من أحكام الشرع وتلقّى أصلٍ من أصول الإسلام وإثبات أدبٍ من آداب السنّة . إنما الذى يعينى من هذا الحديث ورود تعبير « مكارم الأخلاق » فيه . وهبني أثبت صحة ذلك الحديث أو ضعفه أو علته ، من طريق المراجعة ، فثمّة حقيقة لا تدفع ؛ وبيانها أن ذلك الحديث على أقلام المسلمين دوّار . ومن هنا تزن مقدار استيلائه على أذهانهم ، سواء كان صحيحاً أو موضوعاً ، متصلاً أو منقطعاً ، منقولاً على طريقة كذا أو كذا .

أضف إلى هذا أن هنالك حديثاً ينافس ذلك الحديث من جهة المعنى والأداء جميعاً ، وحروفه : « بُعثت لأتم حسن الأخلاق » ،

والمشرف على طبع " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى " ليدن ١٩٣٤
ى ، وهو معجم تفصيلي لفردات الأحاديث المدونة في « الكتب الستة
ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل » . وهذه على حد قول
الشيخ أحمد محمد شاكر — من ذوى البسطة في علم الحديث لهذا العهد عندنا (ظ " مفتاح
كنوز السنّة " صفحة ظ ، والكلام على الثمانية الأولى) — : « هى أصول السنّة ،
ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ، ويندر أن يكون حديث صحيح خارجاً عنها
ليس موجوداً في أحدها » . ز " مقدمة الكتاب " ك ك لرشيد رضا .
وبعد ، فإليك قصة إسلام أبى ذر : « ... وكان أبو ذرّ لما بلغه مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه : اركب الى هذا الوادى فاسمع من قوله
فرجع فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق... » ظ البخارى " صحيح " ليدن ١٩٠٧
ى " كتاب الأدب " باب ٣٩ ص ١٢١ . ز ذ " كتاب مناقب الأنصار " باب ٣٣ ص ٢٣ ؛ مسلم " صحيح " القسطنطينية ١٣٣٤ ص ١٥٥ .
(٣)

وهو مما جاء في "الموطأ" للإمام مالك^(٣٧). فانظر كيف ورد فيه تعبير «حسن الأخلاق» بدلاً من تعبير «مكارم الأخلاق» الوارد في الحديث الذي خرّجه البيهقي في "السنن". ورواية الإمام مالك أعلى، لأن "الموطأ" عند جمهور العارفين من أمّهات المسانيد، على حين لا يظفر كتاب البيهقي بمثل هذه الثقة.

وإذا بدا لك بعد هذا أن تعدل عن النقد الخارجي critique externe وهو النظر في الأسانيد إلى النقد الباطني critique interne وهو النظر في الأسلوب، فاعلم أن أسلوب هذا الحديث محض إسلامي. ألا ترى الرسول كيف حثّ صحابته على التزام حسن الأخلاق^(٣٨)؟

(٣٧) مصر ١٣٤٨ ج ٢ ص ٢١١ "كتاب حسن الخلق": في باب «ما جاء في حسن الخلق»: «عن مالك أنه قد بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثت لأتمم حسن الأخلاق». ز "كنز العمال" ج ٢ ص ٥ رقم ٩٢: «إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق» (ابن سعد عن مالك ابن أنس بلاغا). وهناك رواية: «صالح الأخلاق» بدلاً من «حسن الأخلاق»: ١ — «بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (ابن أبي الدنيا "مكارم الأخلاق" ص ٢). ب — «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (الطبراني "مكارم الأخلاق" ص ٢. كتاب "أدب الاملاء والاستملاء" جمعه عبد الكريم بن محمد ابن منصور السمعاني، خ منصور، برلين ms. sim. or. 53 ص ٢٢). (٣٨) مثلاً: ١ — «ومن خياركم أحاسنكم أخلاقاً» (البخاري "صحيح" "أدب" باب ٣٩. مسلم "صحيح" "فضائل" باب ٦٠. الترمذي "سنن" "بر" باب ٤٧. ابن حنبل "مسند" مصر ١٣١٣ ج ٢ ص ١٦١، ١٨٩، ١٩٣، ٢١٠). ب — «إن من أحبكم إليّ يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» (الترمذي "ك" "بر" باب ٧١). ثم ظ "مكارم الأخلاق" خ ليدن ص ٣ ي ي؛ ابن أبي الدنيا "مكارم الأخلاق" ص ١ ي ي؛ ابن جعدويه "مرآة المروّات" خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ص ٤٣؛ الخرائطي ك ك ص ٩٢.

وصفوة القول أن هذا التعبير ليس من آثار النبي المقطوع بوجودها في الكتب المعتبرة؛ ذلك أن الحديث بحروفه كلها ، أعني « إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق » ، لم تخرجه الأئمة الستة ومن في طبقتهم ، على حسب استخراج المستشرق قُسنِك .

وكيفما كانت الحال فإن الاستشهاد في اللغة بلفظ الحديث موضع نظر؛ وقد فصل هذا عبد القادر بن عمر البغدادي في مقدمة "خزانة الأدب" . ولك أن تقول ، بعد هذا كله ، إن ذلك التعبير اتفق له — في مستهل الإسلام — أن يدور على لسان أخى أبي ذرٍّ ، كما مرَّ بك (٣٩) . على أن قصة دوران هذا التعبير على لسان أخى أبي ذر مشكلة من المشكلات . وبيان هذا أنه من المستحيل أن نعرف هل جاءنا ما أثر عنه بحروفه . وأما أقوال عليٍّ وعائشة (ثم جبريل) فإنما تُفْلِتُ جميعاً من النقد ، إذ لا يدرى أحد ما قدر صحتها ، فضلاً عن أن بعضهم ينسبُ قول عائشة إلى الرسول ، على ما رأيتَ في الحواشي . إلا أن هذا التعبير ، وإن بدا غريباً عن الحديث المدوّن في المعتمد من المسانيد ، كيلحقُ بلغة الإسلام . ومما يعزّز هذا الرأي أن الذين عالجوا مكارم الأخلاق لم يوردوا — فيما أعلم — نصّاً جاهلياً فيه التعبير الذي يشغلنا ، مع ما عُرف به كتاب العرب ، صنفوا أو ألفوا ، من استقصاء للأخبار واستخراج للمخبّات .

والنتيجة أن هذا التعبير ينحدر — عند المسلمين — من الحديث . وربما انحدر — عند نفر منهم — من قول عائشة أو قول علي

(٣٩) وفي "الأغانى" ج ١٦ ص ١٠٦ أن عدى بن حاتم طيئً نطق بهذا التعبير .

(أو قول جبريل). ثم إنَّ هنالك فئة من الكتاب لم يرجعوا في كلامهم على مكارم الأخلاق إلى الحديث النبوي المذكور ولا إلى قول عائشة أو غيرها . بل تارةً يوردون التعبير على أنه تأويل لآية قرآنية أو تذييل لحديث نبوي ، على ما ترى فيما يأتي بعد هذا الفصل (إلا أن هؤلاء الكتبة يصنعون هذا وأذهانهم — فيما يغلب على الظن — مشغولة بقول النبي : « إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق ») ، وتارةً يهملون ردّها إلى أصل من الأصول ، فكأنَّ العبارة إذن مستقرة ثابتة لا تحتاج إلى الجدل عنها ولا التأييد لها .

مما لا مجال فيه للشك أن من يكتب في مكارم الأخلاق يجرى إلى إكبار الفضائل الإسلامية وإغراء الناس بالإقبال عليها ، اقتداءً بالرسول ؛ بحيث تأتي كتابته وعظماً وإرشاداً . من ذلك قول ابن أبي الدنيا في فاتحة كتابه المخطوط (ص ٥) : « ونحن ذاكرون في كتابنا هذا في كل خصلة من الخصال التي ذكّرت (يعني عائشة أم المؤمنين في الحديث المنسوب إليها) ، رضوان الله عليها ، بعض ما انتهى إلينا عن النبي وعن أصحابه ومن بعدهم من التابعين وأهل الفضل والذكر من العلماء ، ليزداد ذو البصيرة في بصيرته ، وينتبه المقصر عن ذلك من طول غفلته ، فيرغب في الأخلاق الكريمة ، وينافس في الأعمال الجميلة التي جعلها الله عز وجل حليةً لدينه وزينةً لأوليائه ... » . ومما يورث الملالة أن أسرد هنا ألوان الفضائل التي يُثبت بها كل كاتب وأن أعرض بعضها ببعض . وعلى أية حال فرووس تلك الفضائل

مضمونه

— على الوجه الغالب — التقوى والجود والحلم والشجاعة والصدق والصبر والعفة والحياء ، إلى غير ذلك مما يلائم نزعات الكاتب نفسه .
وَلَا وَقَعَ في النفس من سرد هذه الفضائل سرداً يجعل البحث آخذاً بالظواهر دون البواطن ، أن ننظر كيف تصوّر الكتاب واحداً واحداً مضمون التعبير :

يورد الغزالي في " إحياء علوم الدين " والسهروردي في " عوارف المعارف " والطبرسي في " مكارم الأخلاق " (٤٠) أحاديث نبوية (ليست في المسانيد المعتبرة كما قدمنا) ، يسوق فيها الرسول مكارم الأخلاق . ويرى غيرهم — مثل صاحب " العقد الفريد " (٤١) — أن تفريق مكارم الأخلاق تلتقي في الآية : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . وكأنهم بهذا يؤلّون بأذهانهم ناحية القولة المنسوبة إلى جبريل ، فيما سبق من الكلام . وأما الخوارزمي فيرى أن النبيّ قد « جمع من مكارم الأخلاق ما كان متفرقاً في الأنبياء » (٤٢) .

وأما صاحب المخطوط الموسوم بـ " رسالة في خلق الإنسان " (وهو مجهول) فإنه يذكر الآية نفسها (« خذ العفو ... ») ويضيف

(٤٠) " إحياء " ج ٢ ص ٣١٤ . " عوارف " ج ٢ ص ٣٣٠ . ز " كنز العمال " ج ٢ ص ٢ رقم ٢ . " مكارم الأخلاق " مصر ١٣١١ ص ١٤٤ ، ٢٩٢ .

(٤١) ج ١ ص ٢٧٠ . ز " رسالة في خلق الإنسان " (خ برلين رقم ٥٤٠٤) ص ٢٤ ؛ ضياء الدين الموصلي (ابن الأثير) " المثل السائر " مصر ١٣١٢ ص ٢١٢ س ١٧ ي .

(٤٢) " المكارم والمفاخر " ص ٣١ : « وكان فيه صلى الله عليه وسلم حلم ابراهيم وزهد عيسى وغلظة موسى وشدة نوح وصبر أيوب وسعة سليمان ... » .

إليها غيرها ، ثم يلحق بها جميعاً حديثاً طويلاً من الإنجيل إرادة التمثيل^(٤٣) .
وأما ابن أبي الدنيا فيبني رسالته على قول عائشة ، ويعزز تفصيله لقولها
بالمأثور عن النبي والخلفاء وعظام الناس ، على ما تبين لك من فاتحة كتابه .
وثمة أمثال الخرائطي والطبراني ، وهما يسوقان — من قبيل التَّحَكُّم
arbitrairement — عدة فضائل يقوم عليها تدير الرجل لنفسه في أمر
دينه ودنياه ، مستشهدين بأحاديث نبوية . وعلى هذا يجري الغزالي
دفعاً أخرى ، جاعلاً مكارم الأخلاق عنواناً لكلامه أو مغفلاً ذلك^(٤٤) .

(٤٣) ص ٢٤ م — ٢٥ م : « فصل في مكارم الأخلاق : هي سبعة :

عفوك عن ظلمك ، وإعطاؤك من حرمك ، وصلتك من قطعك ، وإحسانك إلى
من أساء عليك [أساء إليك] ، ونصيحتك من غشك ، وحلمك على من أغضبك .
وأصل هذه السبعة قوله تعالى لنبيه : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
(سو ٧ آ ١٩٨) . وقال تعالى : [و] لا تستوى الحسنة ولا السيئة
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها
إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (سو ٤١ آ ٣٤) .
وقال تعالى : ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (سو ٤٢ آ ٤١) .
وقال تعالى في وصفهم : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (سو ٢٥ آ ٦٥) .
وقال المسيح : سمعتم ما قيل ، يعني في التوراة : العين بالعين ، والسن بالسن .
وأنا أقول لا تقاوموا الشر بالشر ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له
خدك الآخر ، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك ، ومن سخرك ميلاً فامش معه
ميلان [ميلين] ، ومن سألك فأعطه ، ومن اقترض منك فلا تمنعه .
سمعتم ما قيل [للأولين] أحب قريبك وأبغض عدوك ، وأنا أقول لكم
أحبوا أعداءكم ، الخ . « ز » إنجيل متى " الأصحاح ٥ ، الآية ٣٨ ي
(أرشدني إلى المرجع في " الإنجيل " الأستاذ الأب أنستاس ماري الكرملي) .
تفسيه — لهذا المخطوط : " رسالة في خلق الإنسان " ظ
آلفت " فهرس... " ج ٥ ص ١٦ رقم ٥٤٠٤ . وفي المخطوط حديث عن الأخلاق
المذمومة والأخلاق المحمودة . وصاحبه (وهو مجهول) لاحق للبيهقي Δ ٤٥٨
صاحب " السنن الكبير " ، إذ يذكره في ص ١٢ .

(٤٤) ج ٣ ص ٤٣ ي ، ص ٣١٢ ي . وعلى هذا أيضاً " الذخائر والأعلاق
في آداب النفوس ومكارم الأخلاق " للباهلي .

وأما الطبرسى فيسط الفضائل على طائفة كبيرة من آداب الإسلام ،
زيادةً على عباداته . ومن هذه الآداب : كيف يشرب المؤمن وكيف
يأكل . ألا تراه يقول (ص ٥) : « ونحن نذكر تفصيل مكارم أخلاقه
(يعنى الرسول) فى أحواله وتصرفاته وجلسه وقيامه وسفره وحضره
وأكله وشربه خاصة ... » ؟

وأما المتكلمون — أمثال الماوردى^(٤٥) — فيستعملون تعبير « مكارم
الأخلاق » مدخلاً إلى الفحص عن مختلف الفضائل . وأما الأخلاقيون ،
السالكون مسلك حكماء اليونان ، فيجعلون التعبير كالشعار لكتاباتهم
ويهملون الجانب الدينى منه . مثال ذلك قول ابن مسكويه فى فاتحة كتابه
" تهذيب الأخلاق " ^(٤٦) : « الحمد لله الذى أرسل نبيه ... متمماً لمكارم
الأخلاق » . ومما يدخل فى هذا الباب مؤلف شمس الدين التستري .
إلا أن التستري جمع بين مكارم الأخلاق والسياسة ، فجعل هذه (ويريد
بها تدبير معاملة الناس بعضهم لبعض) حاصلةً من الحكمة ، والحكمة
عنده إحدى مكارم الأخلاق ^(٤٧) .

(٤٥) " أدب الدنيا والدين " ص ١٧٨ ي ي .

(٤٦) مصر ١٣١٧ ص ٢ (وقيل : مسكويه . ظ بروكلىن كك " تكلمة " ج ١
ص ٥٨٢) . ز " تهذيب الأخلاق " المنسوب إلى الجاحظ ط محمد كرد على
دمشق ١٩٢٤ ص ٨ .

(٤٧) فائدة — المعلوم أن الفضائل عند أصحاب الحكمة الخلقية النظرية من
العرب أربع : الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، والعدالة . والأولى حاصلة
من اعتدال قوة « النفس الناطقة » ، والثانية من اعتدال قوة « النفس
الشهوانية » ، والثالثة من اعتدال قوة « النفس الغضبية » ، وسائر الفضائل
بالإضافة إليها جميعاً . ظ ابن مسكويه " تهذيب الأخلاق " ص ١٣ — ١٦ ؛
ابن سينا " علم الأخلاق " فى " مجموعة رسائل " مصر ١٩١٠ ص ١٩٢ ؛

وأما المصنفون من كتّاب العرب المستقلّون عن الطرائق الكلاميّة

"تهذيب الأخلاق" المنسوب إلى الجاحظ ص ١١ ، ٤٥ ؛ "إحياء . . ."
ج ٣ ص ٤٧ ي . ي . ز قول كارا دي فو Carra de Vaux في " دائرة
المعارف الإسلاميّة " ط أولى ، مادة " أخلاق " ، الفقرتان الأخيرتان .
وبعدُ ، فصاحبنا التستري هو إلى الحكمة النظرية أميل منه إلى الأخلاقيات
العملية . وهو ممن أشرب تعاليم اليونان كما يبدو من كتابه المخطوط .
فترام يهمل العنوان الذي جعله للكتاب أي " مكارم الأخلاق والسياسة "
ليندفع في تحليل قُوى النفس تحليلاً نظرياً (« اعتدال القُوى الناطقة والقُوى
الغضبية والقُوى الشهوانية ») . وفي رأيه (ص ٢ م) أنه : « إذا اعتدلت
القُوة الناطقة (= « مبدأ الفكر ») حصل منها فضيلة الحكمة ، وإذا
اعتدلت القُوة الغضبية (= « مبدأ دفع المنافر ») وأطاعت القُوة الناطقة
حصل منها فضيلة الشجاعة ، وإذا اعتدلت القُوة الشهوانية (= « مبدأ
جذب الملايم ») وانقادت للقُوة العاقلة حصل منها فضيلة العفة . واعلم أن
العدالة أشرف الفضائل . . . وباقي الفضائل بالنسبة إليها . . . » . فهل
يعدّ التستري هذه الفضائل العناصر الأصلية لمكارم الأخلاق ؟ انه من المتعذر
عليك أن تشك في الأمر ، لأن التستري يسرد بعد ذلك « أمراض هذه القُوى »
(ص ٣ — ٤) ، وينزلق إلى الكلام على السياسة أي التدبير (= « النظر
في حال المال : اعتبار الدخل واعتبار الخرج واعتبار الحفظ . . . »
ص ٤ م — ٥) ، ومنه إلى الحديث عن « وجه الحاجة إلى التمدن :
الملبس والسكن والسلاح » (ص ٥ م — ٦ م) ، حتى يبلغ هذا الفصل
الاجتماعي (ص ٧) : « ولما كانت دواعي أفعال الناس مختلفة وحركاتهم إنمّا
تتوجه إلى مقاصد مختلفة فلو أهملوا طبائعهم لم يتصور منهم التعاون entraide ،
لأن المتغلب كان يستعمل الباقيين في مقاصده وأغراضه من غير أن يساعدهم ، ويقع
التنازع المؤدى إلى الفناء والفساد . فلذلك احتاجوا إلى تدبير يترك لكل واحد
منزلته ويعطيه حقه ويشغله بصناعة يكفلها ويصرف عنه شر الباقيين . وذلك
التدبير هو السياسة ، والسياسة محتاجة إلى الشريعة لمعرفة قوانين توجب نظام
معاش الانسان ومعهده . فالحكمة (مكتوبة بحبر أحمر) الدينية هي النظر في
قوانين كلية (lois universelles) تقتضى مصلحة عموم أبناء النوع (l'espèce
humaine) من حيث تعاونهم في التوجه إلى الكمال الحقيقي . . . » .
هذا وقد رأينا قبل أن الحكمة — سواء كانت دينية أو غير دينية — حاصلة
في رأى التستري من اعتدال القُوى الناطقة ، إلى آخر ما هنالك .

والمذاهب الدينية — كالراغب الأصفهاني^(٤٨) وابن عبد ربه^(٤٩) —
فيحشدون في طيِّ مكارم الأخلاق طائفة من الفضائل داخلة في باب
الأدب دون باب الدين ، أو يوردون — على نحو ما صنَّع الثعالبي —
« حكماً وأمثالاً » تدور حول « سياسة النفس » .

أما المنشئون فمكارم الأخلاق على أقلامهم تأخذ إخذ الأدب .
وإليك ابن المقفع مثلاً في " الأدب الصغير " ، وقد سبق ذكره .

وأما الصوفية فيقولون بأن مكارم الأخلاق إنما هي الفضائل التي
يتحلَّون بها ، على ما هي عليه من « المقامات والأحوال » . ولذلك
تقرأ في كتاب ابن كنان الدمشقي ، وهو مخطوط^(٥٠) « وبعد ، فلما رأيت
رسالة الحافظ المحدث المقدسي المختصة بأحوال السادة الصوفية مشتملةً
على أعداد مكارم الأخلاق ، أحببت أن أشرحها » . والحقَّق أن
الصوفي — على قول ابن عربي والسهروردى — لا يتكامل فيه الأدب
(أى « جماع الخير ») إلا إذا كان جامعاً لمكارم الأخلاق^(٥١) ؛ وذلك

(٤٨) " محاضرات الأدباء " مصر ١٩٠٨ ج ١ ص ١٣٣ ي .

(٤٩) " العقد الفريد " ج ١ ص ٣٤١ ي : " الأمثال في مكارم الأخلاق " .

(٥٠) " مكارم الأخلاق " المذكور قبل ، ص ٢ م .

(٥١) ابن عربي (وابن العربي . ظ بروككن ك ك " تكملة " ج ١ ص ٧٩٠)
" الفتوحات المكية " ج ٢ ص ٢٨٤ : « فالأديب هو الجامع لمكارم
الأخلاق والعليم بسفاسفها ... (والأدب جماع الخير) » . ز السهروردي
" عوارف المعارف " ج ٣ ص ٩٦ : « فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار
صوفيّاً أديباً . وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ؛ ولا يتكامل
الأدب في العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ... » .

لأن مكارم الأخلاق زينة الرسول ، والصوفي « أوفر الناس حظاً في الاقتداء برسول الله ، وأحقهم بإحياء سنته والتخلق بأخلاق رسول الله »^(٥٢)

علاقته
بالفتوة
والمروءة

ومما يلي ذلك أن تعبيراً له مثل هذه السلطان في الأخلاقيات لم يكن له بد أن يزاحم لفظين آخرين لهما مكاتهما في آداب السلوك ، وهما المروءة والفتوة . فمنزلة مكارم الأخلاق من المروءة (أو المروءة) والفتوة موضع اختلاف نسبي . برهان ذلك أنك تقرأ في " شرح الموطأ " للزرقاني^(٥٣) : « قال العلاءي (وهو محدث) حاصل المروءة راجعة إلى مكارم الأخلاق ، لكن إذا كانت غريزة تسمى مروءة » . ثم هذا الثعالبي يعدّ المروءة اسماً واقعاً على محاسن جمّة من مكارم الأخلاق^(٥٤) ، وهذا ابن جعدويه^(٥٥) يثبت قولاً لسفيان بن عيينة : « قوله عز وجل : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . فيها المروءة بخذافيرها »^(٥٦) . (وقد رأيت فيما تقدم صاحب " العقد الفريد " ، مثلاً ، يرى في هذه الآية ملتقى مكارم الأخلاق) . ويزيد ابن جعدويه (في الصفحة عينها ، عند الكلام على اقتباس المروءة من معاني القرآن بعقب نقله

(٥٢) السهروردي ك ك ج ٢ ص ٣١٠ . هذا ومن المعلوم أن « التصوف أخلاق أي سلوك لا نصوص ولا علوم نظرية » ظ Massignon, *Essai sur les origines du lexique technique...*, Paris 1922 ص ٧ .

(٥٣) مصر ١٨٩٣ ج ٢ ص ٣١٧ .

(٥٤) " مرآة المروءات " مصر ١٨٩٨ ص ٥ . والمروءة ، عند الباهلي (" كتاب الذخائر والأعلاق ... " ص ١٣٥) « باعثة على مكارم الأخلاق » .

(٥٥) " مرآة المروءات " خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ، ظ بعد ص ٥٩ (ح) ٣ .

(٥٦) ص ٣٨ . ز الثعالبي " مرآة المروءات " ص ٥ .

بعض الآيات) : « ... قياساً على سائر الآيات المأمور فيها بمكارم الأخلاق وممدوح الأوصاف ». ثم هذا صاحب (؟) كتاب " مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ... " (٥٧) يُدرج المروءة (مقرونة بالسؤدد) في فصول كتابه (٥٨) .

وأما الذى بين الفتوة ومكارم الأخلاق ، ففي " كتاب الفتوة " (٥٩) للسلمى الصوفى أن استعمال مكارم الأخلاق من الفتوة (الصوفية) (٦٠) . ومن ذلك ما جاء فى " مرآة المروءات " لابن جعدويه : « وسئل آخر عن الفتوة ، فقال : الالتزام بمكارم الأخلاق ، وتقويض الأمر إلى الخلاق » (٦١) . وأما التسترى فينقل قولهم : « إن الفتوة عبارة عن مكارم الأخلاق » (٦٢) . ومن جرى مجراه ابن تيمية ، حيث قال فى فتوى له : « صار كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الأخلاق » (٦٣) (وهو يريد

(٥٧) ص ١١ — ١٢ .

(٥٨) ظ بعد مبحث " المروءة ... " ص ٥٩ س ١٢ ي .

(٥٩) خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ (صور هذه المخطوطة المستشرق الأستاذ تيشنر

F. Taeschner وسمح لى بالاطلاع عليها . وقد أفاض فى وصفها فى *Der*

Anteil des Sufismus... مجلة *Der Islam* ١٩٣٧ المجلد ٢٤ ص ٥٣ ي .

(٦٠) ص ٨٠ .

(٦١) ص ٧٦ م .

(٦٢) " مكارم الأخلاق والسياسة " ص ٩ .

(٦٣) " مجموعة الرسائل والمسائل " مصر ١٣٤١ ص ١٥٢ . ظ لهذه الفتوى :

أبو طالب على بن أنجب تاج الدين المعروف بابن السامى الخازن " الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير " ط مصطفى جواد وأنستاس مارى الكرملى بغداد ١٩٣٤ ج ٩ ص ٣٥٩ ي . ثم ظ لهذه الفتوى باللغة الألمانية :

Goldziher, *Ein Fetwâ...* ZDMG LXIII (1919), 127—8; J. Schacht, *Zwei neue Quellen ...*, in *Festschrift G. Jacob*, Leipzig 1932, 277—83.

بالفتوة ههنا ما يقول له بعض المتأخرين : الفروسية ^(٦٤) chevalerie .
وعلى ذلك ترى أن مكارم الأخلاق تارة تؤدى معنى الفتوة أو المروءة
كاملاً ، وثانية تفيد بعض الفتوة ، وأخرى تزيد على مفاد المروءة . وأما
الذى لا خلاف فيه فأن مدلولات مكارم الأخلاق والفتوة والمروءة جميعاً
مستقيمة على عمود واحد .

اتصاله
بالجاهلية

قد انتهى بنا المبحث ، قبل الفصل السابق ، إلى أن مكارم الأخلاق
— فى جملتها — مجموعة الفضائل الإسلامية . غير أنه لا معدّل عن أن
نثبت أن طائفة منها — مما لا يلحق بالجانب الدينى المحض — إنما
تصعد إلى آداب الجاهلية . وإليك واقعة un fait من الوقعات :

روى صاحب " الأغاني " ^(٦٥) أن بنت حاتم طيّ كانت فى نساء
سباها المسلمين ، فلما طلبها أحدهم إلى النبى قالت : « يا محمد ! هلك الوالد ،
وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلّى عنى فلا تُشمت بى أحياء العرب ،
فإنى بنت سيد قومي : كان أبى يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويقرى الضيف ،
ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ،
ولم يردّ طالب حاجة قط ؛ أنا بنت حاتم طى . فقال لها رسول الله : يا جارية

(٦٤) ظ بشر فارس " دائرة المعارف الإسلامية " ليدن ط ثانية ، مادة " فتوة " .

(٦٥) ج ١٦ ص ٩٧ . والقصة ذاتها مروية بلفظ مختلف فى " كنز العمال " ج ٢
ص ١٣٤ ي رقم ٣٢٦٨ ؛ " إحياء ... " ج ٢ ص ٣١٤ ، هنا راجع
ض ك (ح) ٢ : قول صاحب " المغنى عن حمل الأسفار " فى ضعف
إسناد هذا الحديث .

هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ؛ خلّوا عنها ،
فإنَّ أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » .
فإنَّ هذا الحديث الأخير (« فإنَّ أباهما . . . ») ، وإن لم يرد في
المسانيد المعتبرة بحسب ما مرَّ بك ، ليكشفُ عن موقف الإسلام من الجاهلية ،
مهما تحدثت الناس عن تهمه لها واتقباضه عنها . فالحق أن أخلاق الجاهلية
ليست كلها مساوئ ، بل فيها محاسن ؛ ألا ترى ابن قتيبة في " كتاب
العرب " ^(٦٦) يقول : « فإنَّها (أى العرب) لم تزل في الجاهلية تتواصى
بالحلم والحياء والتدبُّم ، وتتعاير بالبخل والغدر والسفه ، وتنزه عن الدناءة
والمذمة ، وتتدرب بالنجدة والصبر والبسالة ، وتوجب للجار من حفظ الجوار
ورعاية الحق فوق ما توجبه للحميم والشقيق . . . » ؟

إنما عادى الإسلامُ الجاهلية من أجل دينها ، فلم ينكر من آدابها
إلا بقدر ، ذلك أن آدابها لم تتصل بدين القوم ؛ بل بنظامهم الاجتماعي .
وقد بيَّنتُ في كتاب " العرض عند عرب الجاهلية " كيف كان العرض ^(٦٧)
قوام تلك الآداب ، وكيف نظم الإسلام طائفةً من عناصره — مثل حفظ
الجوار والوفاء بالعهد والشجاعة — في سلك أحكامه الخلقية . وهل يغيب
عنا أن مجموعة هذه الأحكام إنما هي مصدر الفضائل الإسلامية ؟

(٦٦) في " رسائل البلغاء " مصر ١٩١٣ ط محمد كرد علي ص ٢٨٢ . ز ضياء الدين
الموصلى " المثل السائر " ص ٢١٢ س ٦ تحت : « فإن بيت السؤال (أى :
وإن هو لم يحمل على النفس ضيماً فليس إلى حسن الثناء سبيل)
قد اشتمل على مكارم الأخلاق كلها . . . » . ثم ز " العقد الفريد " ج ٢
ص ٥٠ : « فضل العرب » .

(٦٧) ظ لهذه اللفظة : بشر فارس " تكملة دائرة المعارف الإسلامية " ليدن ١٩٣٦
مادة " عرض " .

وخلاصة المبحث أن هذا التعبير — في أوّل أمره على الأقل —
أجنبيّ عن علم الأخلاق المنحدر من الحكمة اليونانية ، ثم عن علم
السلوك النظرى .

وعلة ذلك أنه إنما يرجع إلى الإسلام العملى ، أى انعقاد الكتاب
بالسنّة مع ما ينساب فى أثنائهما من الآثار الحسنة لزمن الجاهلية .
فإن تقرر هذا فالقيم *valeurs* التى تندرج تحت هذا التعبير إنما هى
صادرة عن أصول موضوعية *objectives* لا ذاتية *subjectives* ، مبدولة
لنفس غير فائضة منها . وربما اتفق لهذا التعبير ، على مدار الزمان ، أن
يستعين الحين بعد الحين بجانبين من جوانب الأدب العربى : أما الأول
فالمروى من الآداب النصرانية وهو جد قليل ، وأما الثانى فهذا الرُكّام
من المصادر الخلقية : من عربية ومنقولة من السريانية والفارسية
واليونانية ، المشحونة بالحكم والأمثال والنوادر . ثم إن مضمون هذه
التعبير ينبسط على أيدي المتصوّفة ، حتى ينقلب مجالاً تضطرب فيه
رياضات القوم النفسانية .

ومثل هذا التعبير يعجز التعريف اللاحق بالذات *définition essentielle* ،
غير القانع بالتعيين والتخصيص . ألا تراك إذا حاولت أن تأخذ على هذا
التعبير منعطفاً لتحوّله إلى نقطة معلومة ، أرهقته ؟ وذلك لأنّ تعبیر
« مكارم الأخلاق » على جانب عظيم من اللطافة *délicatesse* واللدونة
souplesse جميعاً . ودليل لطافته أنّ الذين يستعملونه ويحلّلونه ويشرحونه
هيهات أن يتفكروا على تفاصيل مضمونه . ودليل لدونته أنه يبذل نفسه من
دون استكراه ولا استدعاء ، إلى الفيلسوف والمتكلم والأخلاق والصوفى
والناثر حتى الشاعر ، من غير تمييز .

إلا أن هذا التعبير ليس موضع نزاع . ومعنى هذا أن الذين يُجرونه على أقلامهم لا يتنافسون في الاستئثار به . وكيف يستأثرون به وهو حلٌّ للجميع ، من حيث إنه فوق اختلاف الآراء واقتراق المذاهب ؟ إنه مما أثر ونقل ، ومن ذا الذي لا يُرسل دلوه في المنقول ولا يُعظم المأثور ؟

وترى الناس يحشرون تحت هذا التعبير ، القائم مقام رمز ، قِيَمًا خاصةً ، على شرط ألاّ تزيع تلك القيم عن سنّة التقاليد^(٦٨) . والحق أنه ليس من الواجب أن ينبثق مضمون هذا التعبير منه ؛ وذلك لأن التعبير نشأ مبهماً ، فضلاً عن أنه تركيب مرتجل . بل مضمون هذا التعبير طراً عليه من الخارج ، فكأنه لقاح له ؛ ثم تثبت به إرادة أن يزداد بفضلِه انسجاماً ورفعةً وقدرًا . وأما التعبير ذاته فتراه يثبت ويقوى لأنه سند لمضمونه وشعار له .

وعلى ذلك النحو يعزى هذا التعبير إلى الرسول في غالب الأمر وأكثر الحال ، ويؤيده بعض ما في الكتاب والسنة ، ويسيره حملة الأقلام على اختلاف ألوانهم ، فتنتهى به الحال إلى أن يصير تعبيراً أخذاً يدرّ على الملة الإسلامية خيراً كثيراً .

(٦٨) مما لا محصول وراءه أن يبدو للباحث معارضة هذه القيم بأخر ، بالقيم المسيحية مثلاً . لأن القيم الأخلاقية أو الدينية تكاد تكون من طبيعة واحدة وبمرتبة واحدة — على ما هي عليه من التغاير — في أطوار معينة من الحضارات . فمثل ذلك العمل (وقد أقبل عليه لامنس Lammens ؛ ظ "الحلم" في مجلة "المشرق" بيروت ١٩٣٤ ص ٤٨١ ي ي) لا ثمرة منه ، إلا إذا أراد الباحث أن ينظر في اشتقاق القيم بعضها من بعض .

والآن يحقّ لك أن تسألني : أى فائدة يجز هذا المبحث إلى علم الواقعات الخلقية science des faits moraux ؟

والجواب أننا لم نفحص عن مجموعة واقعات faits ثابتة مبذولة للحس ، تُمكن الأخلاقى الوضعى l'éthologue أن يرى بها رأياً فى سلوك moralité جماعة معيّنة أو فى أخلاقياتها morale ؛ أو قل : أن يرى رأياً فى مجموع عاداتها الخلقية ، على حسب ما تبرزها الواقعات الاجتماعية ، أو على حسب تقدير الجماعة نفسها لها .

إنما نحن فحسنا عن تعبير أخلاقى ، بل عن أخلاقيات معبر عنها بلفظين ، أحدهما إلى الآخر مضاف . ومعنى هذا أننا تأملنا حقيقة تاريخية فى الآداب الإسلامية ، تدل على رأى فى تمييز الخير من الشر . وهذا الرأى مداره النظر المجرد ، لأن أصحابه لم يلتفتوا إلى مؤدّى الواقعة الخلقية المحسّنة . فكلهم فيلسوف أو حكيم أو صوفى أو كاتب ؛ وليس فيهم عالم له نظر مسدد إلى أحوال جماعته ، بحيث يأبى أن يعدّ الأخلاقيات أمراً محصوراً فى معنى يُخاض فيه ، أو حكم يُثبّت ، أو قاعدة تُسوّغ .

هذا وإننا حاولنا أن نخلص إلى ما تحت ذلك التعبير من العنصر اللازم له ، فوجدناه : التقليد la tradition .

المروءة*

(كلمة رَفَزٌ)^(١)

مما صحَّ عند أهل اللغة أن هنالك ألفاظاً ذهبت معانيها بذهاب الجاهلية . ولم يقف هذا الإشكال اللغوي عند ألفاظ ضاع ما تحتها ، بل انبسط على ألفاظ استترت مدلولاتها ، فعوّلت الأئمة في تحديدها على البصيرة ، وقالت فيها بالتقريب والاحتمال . ومن هذه الألفاظ : الزمان

* نشر هذا البحث مختصراً في " تكملة دائرة المعارف الإسلامية " ليدن ١٩٣٧ مادة " مروءة " .

- (١) فائدة — مروءة: هي الصيغة المشهورة : ابن دريد " الجهرة في اللغة " حيدر آباد ١٣٤٤ ي ١ ج ٣ ص ٢٨٩ (وجمعها مروءات) — ولك أن تشدد فتقول : مروءة (وجمعها مروءات) : " الصحاح " مصر ١٢٩٢ ج ١ ص ٢٣ . الجرجاني " التعريفات " ط Leipzig ١٨٤٥ ص ٢٢٣ . الجاحظ " طبقات المغنين " في " مجموعة رسائل " مصر ١٣٤٢ ص ١٨٧ . " ديوان الشاعر . . . الأنصاري " ط de Goeje ليدن ١٨٧٥ ص ٣٥ . Goldziher, Halle 1889 Muhammedanische Studien, ج ١ ص ١ — ٤٠ . ابن جعدويه " مرآة المروءات " ط بعد ص ٥٩ س ٦ ي ١ — وأما المروءة (بهجزة مرسومة فوق الواو) خطأ ، كما في Freytag, Lexicon ج ٤ ص ١٦٥ س ٢ ، ١٧ . ابن خلدون " مقدمة " ط Quatremère باريس ١٨٥٨ ج ٢ ص ٣٠٤ . " يتيمة الدهر " دمشق ١٨٨٥ ج ٤ ص ٢٠٦ . الهمداني " الألفاظ الكتابية " ط شيخو ، بيروت ١٩١٣ ص ١٠٩ . (٤)

والحين ، والغنى والفقر ، والكرم واللؤم^(٢) .

والذى أذهب إليه أن المروءة تلحق بهذه الألفاظ المشتبهة ؛ وإليك بيان ذلك :

لو كانت المروءة واضحة المعنى ما عثرنا على تعريفات لها لا يكاد يقع بعضها على بعض ، ولا أصبنا أقوالا فيها ربما تنافرت بل تدافعت . ولولا ميلى إلى الاختصار لسقت هنا عدداً غير قليل من تلك التعريفات والأقوال ؛ ودونك مواطنها (فضلاً عن المعجمات المختلفة) :

ابن عبد ربه " العقد الفريد " مصر ١٢٩٣ ج ١ ص ٢٢١ .
ابن قتيبة " عيون الأخبار " مصر ١٩٢٥ ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٩٦ ي .
الأصفهاني " محاضرات الأدباء ... " مصر ١٣٢٦ ج ١ ص ١٤٥ .
الباهلي " الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق " مصر ١٢٩٨ ص ١٣٥ ي .

البُستى " روضة العقلاء ... " مصر ١٣٢٨ ص ٢٠٥ ي .
الثعالبي " مرآة المروءات " مصر ١٨٩٨ (الطبعة رديئة) .
الجاحظ " البيان والتبيين " مصر ١٣١١ ج ١ ص ٢١٢ .
الحصرى " زهر الآداب " ط ثانية لزكى مبارك ج ١ ص ٨٩ .
الزرقاني " شرح الموطأ " مصر ١٨٩٣ ج ٢ ص ٣١٧ ي .
الغزالي " إحياء علوم الدين " مصر ١٣٤٨ ج ٣ ص ٢١٣ .

(٢) ط ابن فارس " الصحاح " مصر ١٩١٠ ص ٣٤ ي .

- الموردى " أدب الدنيا والدين " مصر ١٩٢١ ص ٢٤٥ ي ي .
المبرد " الكامل " مصر ١٣٣٩ ج ١ ص ٣٥ .
المتقى " كنز العمال " حيدر آباد ١٣١٢ ج ١ ص ٨٤ ، ١٦٢ ي .
الميدانى " مجمع الأمثال " مصر ١٣٤٢ ج ١ ص ٥٢ .
الوشاء " الموشى " ط Bruennow ليدين ١٨٨٦ ص ٣٠ ي ي .

ابن جعدويه على بن الحسن ∆ (؟) " كتاب مرآة المروءات " خ
القسطنطينية آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ورقة ٣٥ — ٧٧ . (ألف هذا
الكتاب للوزير نظام الملك ٤٥٦ — ٤٨٥ .)

- الأردبيلى أخى أحمد المحب بن شيخ محمد بن ميائيل ∆ (؟) " باب
فى بيان المروءة " من " كتاب الفتوة " خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ص ١٠٦ .
مجهول " فصل فى المروءة " خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ص ٢٠٦ .
مجهول " مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدائع الأوصاف وغرائب
التشبيهات " خ ليدين رقم ٤٠٩ (فى فصل " السودد والمروءة ") ص ١٢ م^(٣) .

(٣) المخطوط الأول لابن جعدويه فيه ٤١ بابا . وقد حذا المؤلف حذو الثعالبى
فى كتابه المذكور قبل : " مرآة المروءات " بل لخصه . غير أنه انصرف
إلى الناحية الدينية ، والصوفية خاصة . ووصف هذا المخطوط : تيشنر
F.Taeschner, *Der Anteil des Sufismus an der Formung des*
Futuwwaideals فى مجلة *Der Islam* ١٩٣٧ المجلد ٢٤ ص ٤٧ ي ي .
(ظ بروكلن Brockelmann " تكملة تاريخ الآداب العربية " ليدين ١٩٣٧ ج ١
ص ٧٧٣) — المخطوط الثانى للأردبيلى تجد وصفه فى Taeschner لك ص ٥٨ .
وكلام الأردبيلى فى (الفتوة) والمروءة داخل فى التصوف . ويذكر الأردبيلى
فى كتابه السلمى ∆ ٤١٢ ، صاحب " كتاب الفتوة " ، والقشيرى ∆ ٤٦٥

ولقد صرّح أبو حاتم البستي بتضارب تلك التعريفات والأقوال إذ يقول : « اختلف الناس في كيفية المروءة »^(٤) . فكأن العرب أنفسهم لم يطمئنوا إلى مدلول للمروءة ، ولم يتواضعوا على تعريف لها . وأكبر دليل على أن معنى المروءة أشكل على المسلمين أن معاوية سأل وفداً — في غير مراوغة — قال لهم : « ما تعدون المروءة ؟ »^(٥) . ونحن اليوم لا نستطيع أن نحدّد معنى المروءة . فأيتنا يقوى على أن يعرفها التعريف الحقيقي *définition réelle* الناهض على التمييز ، في قول يونس بن حبيب : « ليس لِعَيٍّ مروءة » ، مضافاً إلى قول عمر بن الخطاب : « تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة » ، وقول معاوية : « المروءة احتمال الجريرة ، وإصلاح أمر العشيرة » ، وقول الأحنف : « لا مروءة لكذوب » ، وقول القائل : « المروءة النظافة وطيب الرائحة » ، وقول بعضهم : « المروءة كثرة المال والولد » ، أو : « المروءة حسن الحيلة في المطالبة ، ورقة الظرف في المكتابة » ، وقول النورى : « المروءة بذل الندى ، وكفّ الأذى ، وترك الهوى ، والزهد في الدنيا ، وطاعة المولى »^(٦) . وأما قول بشار :

صاحب " الرسالة " ؛ فهو إذن لاحق لهما . وقد نشرت هذا المخطوط الثانى فى مجلة " المقتطف " أبريل ١٩٣٩ ص ٤٦٩ — ٤٧١ : " المروءة ، مصدر مطوى " — المخطوط الثالث تجد وصفه فى Taeschner, Futuwwa-Studien فى مجلة Islamica المجلد ٥ ١٩٣٢ ص ٣١٨ — المخطوط الرابع تجده مذكوراً فى (Dozy, Cat. Cod. or. 409 (I, 269 sq.)) وقد نشرت المخطوطان الثالث والرابع فى مجلة " الرسالة " مصر ١٩٣٩ السنة ٧ العدد ٢٩٧ ص ٥٣٢ — ٥٣٤ : " المروءة ، مصادر مطوية " .

(٤) " روضة العقلاء " ص ٢٠٧ .

(٥) " العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢١ .

(٦) تجد هذه النصوص فى الكتب المذكورة قبل ، ص ٥٨ ح .

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
فلعمري لولا أن بشار بن برد فصل المعنى في المصراع الثاني ،
ما أدركنا ما يريد بذى المروءة .

ولعل معترضاً يقول : إن المروءة تفيد السيادة ، والمرء السيد . ودليله
على ذلك مشتقات مادة م ر ء الآرامية (ولا سيما اسم الفاعل منها) ،
من حيث إنها تفيد — على وجه التخصيص — « السيادة وعز السيد
وكرمه » ^(٧) . ولربما عزز المعترض دليله — بعد هذا — بوقوع " باب المروءة " ^(٨)
في كتاب " السؤدد " من " عيون الأخبار " لابن قتيبة .

والرد على هذا الاعتراض أن ابن قتيبة لم يثبت في " باب المروءة " ^(٩)
إلا قولاً واحداً تنزع فيه المروءة إلى السيادة ^(١٠) . وهذا القول لا يصعد
إلى الجاهلية . هذا فضلاً عن أن لفظة مرء ^(١١) وهى اللفظة النازرة إلى
« مَرِيء » الآرامية — من حيث الاشتقاق — إنما مفادها الإنسان في

(٧) ظ معجمات Payne Smith, Margoliouth, Brun, Brockelmann ، ثم
الفرحاني " الباب " بيروت ١٨٩١ ج ٢ ص ٧٨ ؛ المطران يوسف داود
" اللعة الشهية . . . " الموصل ١٨٩٦ ج ١ ص ٣٦١ . ز Bauer في المجلة
الألمانية ZDMG ١٩١٣ ص ٣٤٢ ي . ي .

(٨) قول مسلمة بن عبد الملك : « مروءتان ظاهرتان : الرياسة والفصاحة » ص ٢٩٦
س ١٠ . وزد على ذلك أن ليس في " فصل في السؤدد والمروءة " من
مخطوط ليدن " مكارم الأخلاق . . . " قول يصعد إلى الجاهلية .

(٩) ورد « مرء » و « امرؤ » ، ظ لأنواع كتابة هذه اللفظة الأخيرة :

Fischer, Imra'alqais... في مجلة Islamica ١٩٢٥ ص ١ — ٤١ ،

٣٦٥ — ٣٩٠ . وتصغير مرء : « مُرْى » ظ ابن دريد " اشتقاق "

Goettingen ١٨٥٤ ص ٢٢٩ س ١٦ .

العربية^(١٠)؛ وشاهد هذا في القرآن^(١١) ثم في الشعر الجاهلي^(١٢). بقي أن لفظة امرأة، مؤنث امرئ^(١٣) تفيد المرأة على وجه عام^(١٤) أو زوج الرجل^(١٥). ومن هنا يتبين أن المروءة لم تفد — أول الأمر — السيادة، حتى تتضمن، على تعاقب الأيام، السجايا الرفيعة (سجايا السيد مثلاً)، من قبيل ابتذال اللفظ أو التوسع في القول. بل أكبر الظن أنها ضمت، أول ما ضمت، محاسن خلق الإنسان، ثم — من طريق التجريد والمجاز — محاسن خلقه^(١٦).

-
- (١٠) "تاج العروس" ج ١ ص ١١٧ تحت. ز اللفظ الألماني Mensch
- (١١) مثلاً: سو ٢، آ ٩٦؛ ١٩، ٢٩؛ ٢٤، ١١؛ ٥٢، ٢١؛ ٧٨، ٤١؛ ٨٠، ٣٤.
- (١٢) مثلاً: "جمهرة أشعار العرب" مصر ١٣٠٨ ص ٥١، ٩١، ١٠٤، ١١٨، ١٣٦. "حماسة البحتري" مصر ١٩٢٩ ص ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٧٨، ٢٥٢، ٢٨١، ٢٣٦، ٣٤٢، ٣٥٨. "المفضليات" مصر ١٩٢٦ ص ١٠٥، ١٠٧.
- (١٣) "تاج العروس" ج ١ ص ١١٧.
- (١٤) ز "القرآن" سو ٤ آ ٥، ٢٨، ٢٣، ٣٣، ٤٩.
- (١٥) "القرآن" سو ١٩، آ ٥٩؛ ٦٦، ١٠، ١١.
- (١٦) ز اللفظة المجاورة: الرجل (ظ "تاج العروس" ج ١ ص ١١، ١٢). واذكر قول عامة مصر: «فلان دا راجل»، ولكن ما معنى «راجل» ههنا؟ أفلا يختلف باختلاف المتكلم والمخاطب والمتعارف؟
- في "فصل في المروءة" (ظ "الرسالة" السنة ٧ العدد ٢٩٧ ص ٥٣٣ ي) تأويل لاشتقاق المروءة طريف. ويجملة أن للمروءة اشتقاقين: الأول من «مرؤ» الطعام وأمرأه إذا تخصص بالمرء لموافقة الطبع. فعلى هذا يكون اسماً للأفعال المستحسنة كالإنسانية. والثاني أن يكون من المرء فيجعل اسماً للمحاسن التي يختص بها الرجل دون المرأة، فيكون كالرجولية وذلك أخص من الإنسانية إذ الإنسانية يشترك فيها الرجال والنساء، والمروءة أخص بكثير.

وأقرب الظن أنك تصيب في الأقوال والتعريفات التي تقدم ذكرها جانبين متضادين ، كلاهما معقود بالآخر : الأول حسى ، والثانى معنوى ^(١٧) ؛ وهذا غلاب على ذاك . وكأنّ مروءة الجانب المعنوى تتصل بمكارم الأخلاق ، ومروءة الجانب الحسى تتعلق بشؤون الحياة المادية .

والذى أذهب إليه أن الجانب الحسى ينحدر من زمن الجاهلية ؛ وأما الجانب المعنوى فمصدره الإسلام . ومما يميل بى إلى هذا الرأى خبر يسوقه صاحب " الأغاني " ^(١٨) نلمس فيه تقابل المروءتين ، مروءة الجاهلية ومروءة الإسلام : روى أبو الفرج ، قال : دخل عيينة بن مرداس الشاعر الهجاء على عبد الله بن عباس عامل على بن أبى طالب على البصرة ، فقال له ابن عباس : « ما جاء بك إلى ؟ » ، قال : « جئتك لتعيننى على مروءتى ... » ، قال : « وما مروءة من يعصى الرحمن ، ويقول البهتان ؟ والله لئن أعطيتك لأعيننك على الكفر والعصيان ... » ^(١٩) .

(١٧) أمثلة : « المروءة العفاف وإصلاح المعيشة » . « إنا معشر قريش نعُد العفاف وإصلاح المال مروءة » . « المروءة تقوى الله وتفقد الضيعة » (" العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢١) . « المروءة إصلاح المال والرزانة فى المجلس والغداء والعشاء بالفناء » (" عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٩٥) . « المروءة أن يعتزل الرجل الرية ... وأن يصلح ماله ... وأن يقوم لأهله بما يحتاجون إليه ... وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب ... » (" الموشى " ص ٣٢) . أو قل هنالك مروءة ظاهرة ومروءة باطنة : قال عمر بن الخطاب : « المروءة الظاهرة الرياش والمروءة الباطنة العفاف » (" العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢١ . ز " البيان والتبيين " ج ١ ص ٢١٢) .

(١٨) مصر ١٢٨٥ ج ١٩ ص ١٤٣ ي .

(١٩) لنذكر هنا أن الاسلام قام فى وجوه الشعراء بسبب هجائهم . ظ بشر فارس " تكملة دائرة المعارف الإسلامية " ليدن ١٩٣٦ مادة " هجاء " .

ومجمل خبر " الأغاني " أن عيينة بن مرداس كان مُعوزاً ، فقصده إلى عبد الله بن عباس يسترفده ، ويرغب إليه أن يعينه على مروءته ^(٢٠) ، فردّه ابن عباس لآثامه إياه في مروءته . والذي يتحصل من هذا الخبر أن المروءة عند ابن مرداس ترجع إلى المعاش ؛ وأما ابن عباس فقد نظر إليها بعيني المسلم ، فزهرها عن المادة ، وأنزلها منزلة الخلق الحسن .

غير أنه من المتعذر أن نجزم بأن المروءة كانت مقصورة على الجانب المادى من الحياة فى الجاهلية ، لأن الألفاظ — على وجه العموم — تنتقل بالتدرج من الحس إلى المعنى . والدليل على هذا أن لفظة امرأة كانت تفيد فى ذلك العهد المرأة الكاملة ^(٢١) . وأذكر ، زيادةً على ما تقدم ، هذا البيت الجاهلى المشهور :

إذا المرء أعيته المروءة يافعاً فطلبها كهلاً عليه شديد ^(٢٢)

(٢٠) أى : يعطيه حتى لا يشتهى طعام غيره . وإليك مرجع هذا التفسير : « قال عمر ابن هبيرة : عليكم بمباكرة الغداء ، فإن فى مباكرة الغداء ثلاث خلال : يطيب النكهة ويطفىء المرأة ويعين على المروءة » . وقيل : « وما إعاقته على المروءة ؟ » قال : « لا تتوق النفس إلى طعام غيره » (" الموشى " ص ٣٢ س ٧ ي . ز " مرآة المروءات " ص ١٥ س ١٢ ي) . ثم ز ، لتقابل المروءتين ، قول الزبرقان : « وما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس » ، يوم ذهب إلى عمر ابن الخطاب يشكو إليه هجاء الخطيئة (" الأغاني " ج ٢ ص ٥٥) .

(٢١) الزمخشري " كتاب الفايق " حيدرآباد ١٣٢٤ ج ٢ ص ٢٤٣ . ابن الأثير " النهاية فى غريب الحديث والأثر " مصر ١٣١١ ج ٤ ص ٨٧ .

(٢٢) " حماسة أبى تمام " ط Freytag ص ٥١١ . البغدادى " خزانة الأدب " مصر ١٣٤٩ ج ٣ ص ١٩٧ ي . " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٤٧ . الثعالبي فى " مرآة المروءات " ص ٢٦ ينتحل هذا البيت (؟) مع إيراد قافية « ثقيل » بدلا من « شديد » . ز بيت آخر لحسان بن ثابت " شرح ديوان ... " مصر ١٩٢٩ ص ٣٧١ :

نسوّد ذا المال القليل إذا بدت مروءته فينا وإن كان معدما .

ولكن المروءة في هذا البيت مغلقة غامضة ، وإن كان مُفادها موقوفاً على الجانب المعنوي^(٢٣) . وعلى أية حال فلو كان للمروءة مدلول واضح في الجاهلية لتسايرت أقوال المسلمين فيها والتفت تعريفاتهم لها على معنى أصلي ، فما جاءت على ذلك الجانب من التباعد والتناقض . وكأن الحسى والمعنوي جميعاً أخذاً يتجاذبان المروءة أيام الجاهلية ، فلم تقوَ على الاستقرار والثبات .

والظاهر أن المروءة لم تبلغ مبلغها من المعنوية إلا بالإسلام . ولعل المسلمين أنزلوا المروءة منزلة مكارم الأخلاق^(٢٤) استناداً إلى هذه الأحاديث^(٢٥) :

أ — « إن كان لك خلق فلك مروءة »^(٢٦) .

ب — « لا دين إلا بمروءة »^(٢٧) .

(٢٣) وسيكون شأنها كذلك فيما بعد . مثلاً : أبو تمام " ديوان " مصر ١٢٩٢ ص ١٤٦ . البحترى " ديوان " بيروت ١٩١١ ص ٧٥٠ . المتنبي " ديوان " برلين ١٨٦١ ص ٥٦ .

(٢٤) ظ " مرآة المروءات " ص ٢ ؛ ولا سيما " شرح الموطأ " ظ قبل ص ٥٩ فوق . وارجع إلى قبل ص ٥٠ ي ي ، للصلة التي بين المروءة و مكارم الأخلاق .

(٢٥) كتب إلى المستشرق أ . ي . فنسينك Wensinek (ز قبل ص ٤٠ ي) يقول : إن هذه الأحاديث مما لم يدون في الصحاح . وأخبرني أيضاً الأستاذ محمد عبد الباقي — صاحب " تيسير المنفعة ، بكتابي مفتاح كنوز السنة " مصر ١٩٣٥ ، وناقل كتاب " مفتاح كنوز السنة " مصر ١٩٣٣ — قال : إن لفظة المروءة لم ترد في الأحاديث المدونة في أصول السنة .

(٢٦) " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٩٥ . " الموشى " ص ٣١ .

(٢٧) " العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢١ . (وهو حديث منسوب أيضاً إلى الحسن في " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٩٥) .

ح — « مروءة (المؤمن) عقله » (٢٨) .

د — « ليائين على الناس زمان تقصر فيه المروءة ، وتدق فيه الأخلاق ، ويستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، فإذا كان كذلك فانتظروا العذاب صباحاً ومساءً » (٢٩) .

(٢٨) ابن أبي الدنيا " مكارم الأخلاق " خ برلين رقم ٥٣٨٨ ص ١ م . ز ابن جعدويه " مروءة المروءات " ص ٣٨ م تحت ٠ ثم « ومروءة (الرجل) عقله » : " روضة العقلاء " ص ٢٠٥ — وهذا الحديث منسوب أيضاً إلى عمر بن الخطاب في رواية أخرى : « مروءة المؤمن خلقه » في " شرح الموطأ " ص ٣١٧ . ز كنز العمال ص ١٦٣ . وفي الخرائطي " مكارم الأخلاق ومعاليها ... " مصر ١٣٥٠ ص ٤ : « ... عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه ... وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حسب المرء دينه ، ومروءته خلقه ، وأصله عقله » .

(٢٩) ابن جعدويه " مروءة المروءات " ص ٣٨ م تحت ٠ وهناك أحاديث أخرى :

أ — الأردبيلي " باب في بيان المروءة " (ظ " المقتطف " أبريل ١٩٣٩ ص ٤٧٠) : « وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ستة من المروءة ، فتلاثة منها في الحضر وثلاثة في السفر . فأما اللواتي في الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى ، وعمارة مسجد الله ، واتخاذ الإخوان في الله . وأما اللواتي في السفر فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، وكثرة المزاج في غير معصية الله » . ز في " العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢١ قول ربيعة الرأي : « المروءة ست خصال ، ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر . فأما التي في السفر فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق . وأما التي في الحضر فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج » . ب — في " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٩٥ : « قال رسول الله : ورثوا لذوى المروءات عن عثراتهم ، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفي يد الله » . ز " العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢١ .

ح — في " مكارم الأخلاق ... " خ ليدن (ظ " الرسالة " السنة ٧ العدد ٢٩٧

ص ٥٣٣) : « قال النبي : تحافوا عن عقوبة ذوى المروءة ما لم يقع حداً ... » .

د — في " منتخب كنز العمال " بهامش " مسند " ابن حنبل مصر ١٣١٣ ج ١ ص ٢٨٤ ، جملة أقوال منسوبة إلى النبي ، تحت كلمة المروءة .

عظم شأن المروءة منذ مطلع الإسلام لتسلط المعنوية عليها . وإذا نحن تعقبناها ، على كثر الزمان ، رأيناها تنتقل — على الجملة — من موضع إلى موضع ، والمعنوي لازمها . ودونك تفصيل ذلك^(٣٠) :

تفيد المروءة في عهد الخلفاء الراشدين : العفاف^(٣١) ، والخلق الحسن^(٣٢) ، والائتمار بأوامر الله^(٣٣) .

وأما في عهد بني أمية ، فكانت تجمع بين سياسة الملك^(٣٤) ، ودهاء السلطان^(٣٥) ، والعمل ، والعفة^(٣٦) ، والوقار^(٣٧) ، والركة ، ولين الجانب^(٣٨) .
وأما في العصر العباسي الأول ، فاحتملت الفضل^(٣٩) ، وقابلت الدناءة^(٤٠) ؛ ثم أورث ضياعها « رقة الشأن ، وسخف المنزلة »^(٤١) . ومن هذه الوجهة وافقت الأدب (بمعنى حسن السلوك) عند الأخلاقيين^(٤٢) ؛ وقد

- (٣٠) رأيت أن أغفل بعض مصادر النصوص التي أستخرج منها دلالات المروءة ، إذا كانت هذه المصادر مما أثبتته في مستهلّ البحث .
- (٣١) قال عمر بن الخطاب : « المروءة الباطنة العفاف » .
- (٣٢) قال عمر بن الخطاب : « ومروءة المرء خلقه » . (٣٣) راجع خبر « الأغاني » قبل .
- (٣٤) قال معاوية : « المروءة احتمال الجريرة وإصلاح أمر العشيرة » .
- (٣٥) قال عبد الملك بن مروان : « المروءة موالاة الأكفاء ، ومداواة الأعداء » . وقال معاوية : « (المروءة) إطعام الطعام ، وضرب الهام » .
- (٣٦) قال الأحنف : « المروءة العفة والحرفة » .
- (٣٧) قال الأحنف : « كثرة المزاح تذهب المروءة » .
- (٣٨) راجع بيت بشار قبل . ظ القرن « بشار بن برد ... » مصر ١٩٢٥ ص ٧٠ .
- (٣٩) ابن المقفع « كلیلة ودمنة » بيروت ١٨٩٩ ص ٢٦٦ .
- (٤٠) عن الأصمعي : « عيون الأخبار » ج ١ ص ٢٩٦ .
- (٤١) ابن المقفع « الأدب الكبير » مصر ١٣٣١ ص ٧٠ .
- (٤٢) ألف صالح بن جناح (ظ مجلة « المقتبس » سنة ١٩٣٠ ص ٦٤٩) رسالة عنوانها « الأدب والمروءة » نشرها محمد كرد علي في « رسائل البلغاء » مصر ١٩١٣ ص ٣٠٢ — ٣١٤ . ومما قاله صالح بن جناح هذا : « أصل المروءة الحزم وثمرها الظفر » (عن « تاريخ ابن عساكر » . ظ « مجلة المجمع العلمي العربي » المجلد ٤ ج ١ ص ٣٢) .

اتفق للفظه الأدب أن تقرن بلفظة المروءة غير مرة^(٤٣) ؛ وعلى هذا " كتاب الأدب والمروءة " لصالح بن جناح .

ثم مضى الزمن فصارت المروءة عند أهل اللغة : « الإنسانية »^(٤٤) و « السرو »^(٤٥) و « كمال الرجولية »^(٤٦) . هذا من شقٍّ ؛ وأما الشق الآخر ، فقد سدت المروءة عند الأخلاقيين مسدَّ الفضائل الإسلامية^(٤٧) ، أو قامت « لفظاً لمعانٍ كثيرة ، واسماً واقعاً على محاسن جمّة من مكارم الأخلاق وممادح الأوصاف ... تجمع مناقب الملوك والوزراء ... »^(٤٨) ، أو أخذت ، بتقديم علم الكلام ، تحتل مكاناً رفيعاً في الأخلاقيات النظرية ، جامعةً بين « حقوق وشروط معينة قائمة في الوهم حساً ، وظاهرة بالفعل ، وخافية بالتغافل ، وواجبة حدساً »^(٤٩) . وما زالت المروءة تسير في طريق الأخلاقيات ، وترقى في ميدان

(٤٣) عند عبد الحميد الكاتب قديماً . ظ ابن خلدون " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ ص ٢٤٨ س ١٠ .

" مرآة المروءات " ص ١٢ س ١٢ ي ، ص ٢٥ س ٤ ي تحت .

(٤٤) الجوهري Δ سنة ٣٩٨ " الصحاح " ج ١ ص ٢٣ .

(٤٥) عن أبي زيد الأنصاري : ابن سيده Δ ٤٥٨ " المخصص " ج ٣ ص ١٧ .

(٤٦) عن الصغاني (أو الصاغاني) Δ ٦٥٠ : " تاج العروس " ج ١ ص ١١٧ س ٤ .

(٤٧) قال البستي Δ ٣٥٤ " روضة العقلاء " ص ٢٠٨ : « والمروءة عندي خصلتان .

اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعل ، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من

الحُصَال . ز السيوطي " شرح موطأ مالك " مصر ١٣٤٨ ج ٢ ص ٢١١

(قول ابن عبد البر) .

(٤٨) الثعالبي Δ ٤٢٩ " مرآة المروءات " ص ٢ . ز ابن جعدويه ص ٣٦ م ؛

الباهلي Δ ٥٤٤ " الذخائر والأعلاق " ص ١٣٥ : « المروءة جامعة لأشتات المبرات » .

(٤٩) ومن الشروط : العفة والنزاهة والصيانة الخ . (الماوردي Δ ٤٥٠ " أدب الدنيا

والدين " ص ٢٧٧) . ز الباهلي ص ١٣٥ ي .

التجريد ، حتى آل بها الأمر أن نزلت منزلة الفضيلة عند أهل اللغة^(٥٠) وأصحاب الحكمة الخلقية^(٥١) على السواء .

ويتصل بهذا أن رجال القضاء الشرعى يعدون المروءة « الارتفاع عن كل ما يرى أن من تخلق به لا يحافظ على دينه ، وإن لم يكن حراماً »^(٥٢) .

ومما يلي ذلك كله أن المروءة في الأندلس حُرِّفت ، على الزمن ، إلى مروءة و مروءة ، وقامت لها صفة : مَرَوِي^(٥٣) ، تدلّ على أدب المعاملة ولطف المعاشرة^(٥٤) .

وأما المروءة في لغة العامة لهذا العهد ، فباقية على وجهها في النطق في قول مصر : « فلان ما عندوش مَرُوَّة » ، وهى تقابل في هذا الموطن الدناءة وتقيد الجود والمساعدة ؛ ومن هنا تعبير : « مروءتلى »^(٥٥) . ثم إنها تنحرف عن وضعها الأول في قول أهل الريف لمصر : « فلان ما عندوش مَرُوَّة » ؛ ومثله قول أهل سورية : « فلان ما له مَرُوَّة » . وأما

(٥٠) « والمروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق

وجميل العادات » (الفيويمى ∆ ٧٧٠ " المصباح المنير " مصر ١٩١٢ ص ٨٨٧) .

(٥١) « المروءة هى قوة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة عنها المستتبعة للمدح شرعا

وعقلا وعرفا » (الجرجاني ∆ ٨١٦ " التعريفات " مصر ١٢٨٣ ص ١٤١) .

(٥٢) Fagnan, Additions aux diction. arabes, Alger 1923 ص ١٦٣ .

(٥٣) وكان هذا البناء محرف عن البناء الفصيح : مَرِيء ، كأثير . ظ. الفيروز زبادى

" القاموس " ج ١ ص ٣٣ .

(٥٤) Schiaparelli, Vocabulista... Firenze 1871 ص ١٨٤ ، ٣٢٨ ، ٤٢٤ ي .

Dozy, Suppl. aux diction. arabes, Leyde 1881 ج ٢ ص ٥٧٨ .

(٥٥) وهذا اللفظ تركى الصيغة .

مُفاد المروءة في ذينك القولين ، فالقوة والنشاط . ولهذا المفاد أصل في
فصيح الكلام^(٥٦) .

بقي أن المروءة انتهت إلى اصطلاحات المتصوفة . ألا ترى إلى النصراباذي
كيف عدّها « شعبة من الفتوة »^(٥٧) ؟ ثم ها هي ذى تنجذب تحت
قلم ابن جعدويه إلى الفتوة الصوفية^(٥٨) . ومما لا شك فيه أن الفتوة
والمروءة لفظان متجاوران في صفحة الأخلاقيات . برهان هذا أنهما كثيراً
ما يردان مقرونين^(٥٩) . إلا أن التحقيق أن المروءة تتميز من الفتوة ،

(٥٦) قال المعتضد بالله : « أنا والله لا أرى الدنيا تفي بهمتي ومروءتي » (الثعالبي
" أحسن كلم النبي والصحابه والتابعين وملوك الجاهلية . . . " Syntagma
Dictorum ط Valetton ليدن ١٨٨٤ ص ٢٨ س ١٩) .

(٥٧) " الرسالة القشيرية " مصر ١٢٧٧ ص ١٢١ س ٢١ . (النصراباذي Δ ٣٧٢)

(٥٨) " مرآة المروءات " ص ٢٩ ي . وارجع هنا إلى Taeschner, Der Anteil
des Sufismus an der Formung des Futuwwaideals ، ظ قبل ص

٥٩ (ح) ٣ . وكذلك تحت قلم الأردبيلي على ما مرّ بك (ح) ٣ .

(٥٩) الثعالبي " مرآة المروءات " ص ١٥ س ١ ي تحت ص ٢٣ س ٤ ص ٢٤ س ٦

ص ٢٥ س ٢ ص ٢٦ س ١٢ . " الموشى " ص ٣٠ س ١٣ .

Fleisher, Ali's Hundert Sprueche ; Leipzig 1837 ص ٧ س ١ ، ٨

ص ١٥ س ١١ ص ٢٥ س ١٣ ص ٢٩ س ١ . ألفرت " فهرس " . . .

ج ٥ ص ٣٠ ، ٣١ رقم ١٧ ، ٣٢ . الأصفهاني " محاضرات الأدباء " ج ١

ص ١٤٥ . الجاحظ " رسالة في طبقات المغنين " في " مجموعة رسائل "

مصر ١٣٢٤ ص ١٨٧ تحت . الباهلي ص ١٣٧ تحت . الخربرتي " تحفة الوصايا "

خ القسطنطينية ، آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ، ارجع إلى F. Taeschner, Der Anteil...

Anteil... ص ٦٥ ، وخ ذاتها ص ١٠٦ ، ١٠٨ . وفي " مرآة المروءات "

لابن جعدويه بابان : أولهما « ما قيل في المروءة ومعاني الفتوة » ص ٣٨ م — ٣٩ م ،

والثاني في « الفتوة وما سألوا عنها » ص ٧٥ م — ٧٧ ز لاقتران اللفظين أيضاً :

ذ ص ٣٥ م ، ٣٦ م .

من حيث إنها ذهبت مذهباً بعيداً مستقلةً عن التصوف ، بما هي en tant que مفردة من مفردات اللغة ومُدرَك أخلاقى notion éthique^(٦٠) ، على ما قدّمته . ثم هذا أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني Δ ٤٠٤ يقول في « كتاب الجماهر في معرفة الجواهر »^(٦١) : « ترويح المروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وحاله ، والفتوة تتعداه وإياها إلى غيره » ، ثم فصلّ الكلام فوصف الفتوة بالإيثار^(٦٢) وبذل النفس ، إلى غير ذلك من الصفات التي تقرّبها من مُفَاد لفظة chevalerie عند الفرنجة . والنتيجة أن بين الفتوة والمروءة وشائج من قبل الأخلاقيات ، وإن اختص كل منهما بمدلولات مستقلة في النهاية^(٦٣) .

وخلاصة المبحث أن لفظة المروءة — لغموضها أصلاً وما ظفرت به من المرانة من طريق هذا الغموض ، ثم لخاصيتها المجردة التي استقرت وثبتت بفضل الإسلام — أفلتت من المادة لتصير كلمة من الكَلِم الروامز ، حتى إنها نافست مفردات لا شأن للحسّ في معانيها الغالبة ؛ مثال :

(٦٠) ز F. Taeschner, Die islamischen Futuwabuende, ZDMG 1933

ص ١١ ، ٢٧ . ن Der Anteil... ص ٤٧ ي ي .

(٦١) خ برلين والقسطنطينية . تجد الفصل الخاص بالمروءة والفتوة مطبوعاً ومنقولاً إلى اللغة

الألمانية : Taeschner, Der Anteil... ص ٦٩ ي ي . وراجع " الجماهر ... "

ط Krenkow ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ ص ١٠ .

(٦٢) ز هنا قول ابن حزم Δ ٤٥٦ " مداواة النفوس ... " مصر ١٣٢٣ ص ٢٦ : « وأن

تكون المسامحة مروءة لأهل الإينصاف المبادرين إلى المسامحة والإيثار » .

(٦٣) ظ بشر فارس " دائرة المعارف الإسلامية " ط ثانية ، ليدن ، مادة " فتوة " .

الشرف ، والسؤدد ، والعرض ، والكرم^(٦٤) ، والفتوة . ثم إنك ترى هذه اللفظة تستغرق طائفةً من المدلولات والقيم ودقائق التعبير ، من دون أن تنال من وراء ذلك قسطاً من الدقة والضبط .

فإذا تقرر ما تقدم فمن المتعذر أن نذهب مذهب المستشرق جُولْدُ تْسِيَهْرُ Goldziher^(٦٥) . ذلك أنه يُنزل المروءة — من باب التخيل — منزلة الفضيلة *virtus* عند عرب الجاهلية^(٦٦) . ومجمل مذهب الرجل أن المروءة كانت تقابل الدين مقابلةً في ذلك العهد ؛ ثم قامت مقام مبدأ معنوى ، تدور عليه الأخلاق الكريمة ، من حيث إنها كانت تجمع بين إزمات obligations أربعة : السخاء ، والوفاء ، وحفظ الجوار ، والأخذ بالثأر . وقد تلا تَلَوَ جُولْدُ تْسِيَهْرُ جماعة المستشرقين^(٦٧) ، ثم لفّ لفّهم بعض الشرقيين^(٦٨) .

(٦٤) الثعالبي "مرآء المروءات" ص ٨ س ١٥ ص ٢٠ س ٩ ص ٢٢ س ١١ ، ١٢ ص ٢٣ س ١٦ ص ٣١ س ١ ، ٢ . "العقد الفريد" ج ٢ ص ٨٩ س ٣ . ابن المقفع "الأدب الكبير" ط أحمد زكي ، الإيسكندرية ١٩١٢ ص ٤٢ . ابن قتيبة "أدب الكاتب" مصر ١٣٤٦ ص ١٣ . "كتاب التاج ... " المنسوب إلى الجاحظ مصر ١٩١٤ ص ٧٧ .

(٦٥) Muh. St. ج ١ ص ١ - ٤٠ Muruwwa und Dîn ص ١٣ خاصة .
(٦٦) ظ قبله : 1875 Leyde de Goeje, Diwan poetae al-Ansari; ص LXVIII ، استناداً إلى نص غامض .

(٦٧) Lammens, Le Berceau de l'Islam, Rome 1914, p. 199, 238. Massé, (٦٧) l'Islam, Paris 1930, p. 18 . " دائرة المعارف الإسلامية " ط أولى ج ١ ص ٣٨١ ، الطبعة الفرنسية .

(٦٨) ظ أحمد أمين " فجر الإسلام " مصر ١٩٢٨ ص ١١ . " المجلد في تاريخ الأدب العربي " مصر ١٩٢٩ ص ٩ .

وفى هذا المذهب موضعان للنظر . أما الأول فمرجه إلى فن النقل
فى اللغة ، وأما الثانى فإلى المنهج :

ا — قد تبين لك مما قدّمت أن المروءة لم تنزل منزلة الفضيلة على
جهة الماثلة إلا فى العصور المتأخرة ، وأنها لم تكن قط أيام الجاهلية لتتضمن
مدلولاً معنويّاً يُعدها لأن تصير كلمةً رَمَزاً mot symbole تقع موقع
مبدأ اجتماعى ؛ وبالكلمة الرمز أعنى كلمةً متى وقعت فى مسمعك نشرت
فى خاطرك مجموعةً من القيم المجردة .

ب — من العسف أن يُدير الباحث ، من باب التخيل ، نطاقاً يلمّ
فيه عناصر متباينة لا يجد بداً من تعديلها ، ولو شيئاً ، حتى
لا ينفصم النطاق . ذلك أن الباحث إذا ارتجل رأياً ليعتمد عليه فى سبيل
الفحص عن جميع ما يقع تحت الحسّ ، فهيات أن يظفر بما ينطوى فى نواحي
المبدول le donné وما ينخرج فيه ؛ ولا سيما إذا أراد الفحص عن أخلاقيات
غريبة عن فهمه entendement خارجة عن زمانه . فها ينبغى له إذن
أن يتدرّج من الواقعات إلى النظر . وذلك بأن يتدبر أحوال الجاهلية ،
ويأتى عرب ذلك العهد من أبوابها ، فيتأمل آثارها ، ويستقرى أشعارها ؛
حتى إذا تمّ له ذلك ، علم أن عاداتها الخلقية تذهب إلى ما وراء الوفاء
والسخاء ورعاية الجار والأخذ بالثأر ، وأنها تدرج جميعاً — آخر الأمر —
تحت معنى غير قائم فى الوهم ، بل متمكّن فى الواقع ، وأن لفظة العرض
إنما هى التى تؤدّى ذلك المعنى . وعلى هذا النحو يكون الباحث قد
سلك طريق العلم الوضعىّ العادل عن الآراء المرتجلة والمعانى المتوهمة إلى
اعتبار الواقعات ، بعد ركزه لها فى الأرض التى أنبتتها ثم غدّتها .

وإذا عدنا إلى مثل النطاق الذي ضُربَ فيما مضى من الكلام ،
عددنا صاحب البحث الموضوعيَّ مَنْ يجمع العناصر فيضمُّها بعضها إلى
بعض على وجوهها ، من غير تبديل ولا تعديل ، ثم يشدُّ عليها نطاقاً ،
ينحني تارةً بانحنائها ، ويستقيم ثانيةً باستقامتها ، ويستدير أخرى حين تستدير .

وغاية القول أن المروءة لم تسدَّ مسدَّ الفضيلة أيام الجاهلية ، بل للعرض
أن يحل محلَّها في هذا الباب .

وأما قصة اندراج أخلاق عرب الجاهلية تحت معنى العرض — بما هو
مُدرك عام — فاطلبها ، إذا شئت ، في موضع آخر^(٦٩) .

(٦٩) " العرض عند عرب الجاهلية " *L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam*

باريس ١٩٣٢ ص ٣٢ ي . ي .

التفرد والتماسك عند العرب

(مراجعة أقوال المستشرقين)

تقول فئة من المستشرقين بأن العربي يفرط في التفرد^(١). وفي مقدمة تلك الفئة : لامنس^(٢) ثم الأستاذ ج. - دومامبين^(٣)، وعنه أخذت جانباً من العلم في السربون - طال عمره ! وكأني بالقوم قد ذهبوا إلى ذلك من بعد ما استلوا العربي من بيئته، وسلخوه من محيطه، وتوهموه امرءاً يعيش منطوياً على نفسه معتمداً عليها. ثم إنهم غالوا في مذهبهم، إذ حاولوا أن يتبينوا طبيعة العرب معولين على بعض الآراء المرتجلة. شاهد ذلك أن الأستاذ دومامبين يستخلص تفرد العربي من الصفات اللازمة لما يسميه : « الصعلوك الفائق » le bandit supérieur ؛ ومن هذه الصفات الإقدام والصر. وأما لامنس فإنه يرى العربي ميّالاً إلى الانزواء، فهو عنده حيوان غير مستأنس، ولا سبيل له

(١) التفرد : أن ينقبض الرجل عن جماعته قبيلة كانت أو أمة . والتماسك أن يكون

بين رجال الجماعة الواحدة التماسك وتساير وتعاون . (ظ بعد : المبحث السابع .)

(٢) Lammens, *Le Berceau de l'Islam* رومة ١٩١٤ ص ١٨٧ ي .

(٣) Gaudefroy - Demombynes, *Le Monde Musulman* باريس ١٩٣١ ص ٥٧ .

ز مراجعته لرأيه في " العرض عند عرب الجاهلية " Préface ص X (ح) ٢ .

— نخشونة في طبعه وفتور في إحساسه — إلى أن يؤثر غيره على نفسه في سبيل منفعة الجماعة .

على أني أحسبك لا تنقاد لمثل هذه الاستدلالات ، فلا تنزل إلا على حكم الوقائع الملموسة . كيف تطمئن إلى نظر قريب المرمى يبرز به الإنسان مستقلاً بنفسه ، طوع سجيته دون غيرها ؟ إن الذي أميل إليه أن الإنسان جملة صلات اجتماعية *une somme de rapports sociaux* . فإن نحن حددنا العربي في الأرض التي يضرب فيها ، وحصرناه في المحيط الذي يلفه ، ثم استجلبنا الوقائع واستندنا إليها ، كشفنا الستر عن الائتلاف الناهض بين أفراد الجماعة الواحدة ، معنويًا كان أو حسيًا .

إن من شواهد التماسك المعنوي عند العرب أن الرجل كان يعتد بعشيرته *contribute* ويعتز به ، أو تنسى قول مسكين الدارمي :
أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح^(٤)
ثم كان يفخر بقبيلته بل يغالى في الفخر حتى إن الشرع أبطله :
« يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ... » ، كما ترى في مبحث آت (ص ١٠١) .
هذا وإن الائتلاف المعنوي كان يبلغ بالعرب أن يعاب الجمع أو يُمتدحوا إذا أساء أحدهم أو عمل صالحاً^(٥) . ومن هنا ترى العشيرة

(٤) " الأغاني " مصر ١٢٨٥ ج ١٨ ص ٧٠ . ظ الشاهد ١٦٧ من " خزنة الأدب " للبغدادى .

(٥) الجاحظ " البخلاء " مصر ١٣٢٣ ص ١٩٧ .

اختار أحدهم أن يمدح الشاعر قومه بدلاً منه : " حماسة أبي تمام " مصر ١٣٤٦ ج ٢ ص ٣٥٨ (ح) .

تفر ممن يُلحق بها العار^(٦) ، وتعضد من يرقى درجات المجد^(٧) .
 وكان الشاعر إن هجا أحداً من الناس انبسط الهجاء — من ذى نفسه —
 على جماعته . وشاهد ذلك أن الخطيئة سأل ابن عباس ابن عم الرسول
 قال : « رأيت امرءاً أتاني فوعدني وغرّني . . . أيسعني أن أهجوه ؟ »
 قال ابن عباس : « . . . لا يصلح الهجاء لأنه لا بد لك من أن تهجو
 غيره من عشيرته ، فتظلم من لا يظلمك ، وتشتّم من لا يشتّمك ، وتبغى
 على من لم يبغ عليك »^(٨) .

وإذا رجعنا إلى الشعراء أصبنا الأدلة على التماسك المعنوي عند العرب .
 وإليك بعض الأمثلة : قال دريد بن الصمة :
 وهل أنا إلا من غزيّة إن غوت غويت وإن ترشد غزيّة أرشد^(٩) ؟
 ومثله قول هدبة بن خشرم :
 وإني من قضاة من يكدها أكده وهي منى في أمان^(١٠) .
 وعليه قول المتلمّس :

أمنتقلا من آل بهثة خلّتنى ألا إني منهم وإن كنت أينما
 ألا إني منهم وعرضي عرضهم كذي الأنف يحمي أنفه أن يكشما^(١١) .

(٦) " الأغاني " ج ١٢ ص ٥١ .

(٧) ذ ج ١٦ ص ٩٩ ي (حكاية حاتم طي وبنى لام) .

(٨) ذ ج ٢ ص ٥٨ .

(٩) أبو زيد القرشي " جهرة أشعار العرب " مصر ١٣٠٨ ص ١١٧ .

(١٠) " حماسة أبي تمام " مصر ١٣٢٢ ج ١ ص ١٣١ . ز قول حسان بن ثابت
 " شرح ديوان حسان بن ثابت " مصر ١٩٢٩ ص ١٣٩ :

سأوتى العشيرة ما حاولت إلى وأكذب إيعادها
 وأجل إن كمغرم نابها وأضرب بالسيف من كادها

(١١) " شعراء النصرانية " ط شيخو ، بيروت ١٨٩٠ ص ٣٨٧ ي .

ويؤخذ من هذا أن رجال القبيلة كانوا بنياناً واحداً ، وأبناء جلدٍ واحدة . والدليل أن الشاعر كان يتمنّع أن يهجو جماعته . من ذلك قول هذبة بن خشرم في قومه :

سأهجو من هجاهم من سواهم وأعرض منهم عن هجاني^(١٢) .

ولعل شاعراً ثانياً يخطر له أن يشتم قومه كما صنع الشماخ^(١٣) وعميرة بن جعيل والحرمازي^(١٤) . ومما يشهد أن هذا الأمر كان قبيحاً عندهم أن الشاعر ربما اتفق له أن يندم على شتمه . قال كعب بن جعيل :

ندمت على شتم العشيرة بعد ما مضى واستتبّت للرواة مذاهبه^(١٥) .

ولولا أن هذا الأمر كان قبيحاً مردوداً ما أنكرت قريش أن يهجو بعضها بعضاً ، وما عاقبت الهاجي بقطع لسانه^(١٦) ، وما قال كعب بن مالك :

وأغضوا عن الفحشاء لا تعرضوا لها ولا تطلبوا حرب العشيرة بالثلب ولا تقضبوا أعراضهم في وجوههم ولا تلمسوها في المجالس والركب^(١٧) .

(١٢) " حماسة أبي تمام " مصر ١٣٢٢ ج ١ ص ١٣١ . " حماسة البحتري " مصر ١٩٢٩ ص ٣٨٧ ش ٣ .

(١٣) " حماسة أبي تمام " مصر ١٣٤٦ ج ١ ص ٤٥٢ (ح) .

(١٤) ابن قتيبة " كتاب العرب " في " رسائل البلغاء " ط محمد كرد علي ، مصر ١٩١٣ ص ٢٨٠ .

(١٥) الألوسى " بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب " مصر ١٩٢٤ ج ٣ ص ١٤٨ .

(١٦) ابن سلام " طبقات الشعراء " ط مطبعة السعادة (وهي طبعة رديئة جداً) ص ٩١ .

(١٧) " حماسة البحتري " ص ٣٨٧ ي .

وذلك لأن العرب كانت ترغب عن حمل الضغائن بين أبناء القبيلة وتكره الوقعة بالعشيرة . قال النمر بن تولب :

فدعوا الضغائن لا تكن من شأنكم إن الضغائن للقرابة تقذع .
وعليه بيت معقل بن قيس :

وأعرض عما ساء قومي ثناؤه وأستصلح الأدنى وإن كان ظالماً^(١٨)
ذهاباً منهم إلى أن غضب العشيرة يجعل الرجل من أضيع الناس حظاً .
ألا ترى إلى أبي زبيد الطائي كيف قال :

وإن امرءاً لا يتقى سخط قومه ولا يحفظ القربى لغير موفق^(١٩) ؟
ومن ذلك طاعتهم للعشيرة^(٢٠) .

تلك شواهد على التماسك المعنوي عند عرب الجاهلية . ومما يلحق بها أن أفراد الجماعة الواحدة ، عند العرب لعهدنا هذا ، يشد بعضهم إلى بعض تماسكاً محتبك^(٢١) ، وأن النساء عندهم يعدلن عن تلمس أزواج غرباء عن جماعتهن ، لشدة تمسكن بها^(٢٢) .

وإذا تقلنا التماسك من جانب المعنى إلى جانب الحس ، عرفناه في أحوال شتى ، منها هذه :

(١٨ ، ١٩) ذ ص ٣٨٧ ي .

(٢٠) الجاحظ " مناقب الترك " في " مجموعة رسائل " مصر ١٣٢٤ ص ١٢ .

(٢١) Jaussen, Coutumes des Arabes au pays de Moab باريس ١٩٠٨ ص ٤٣٠ .

Burckhardt, Notes on the Bedouins..., London 1831 ج ١ ص ٣٦١ .

(٢٢) Moab ص ٢٥ .

١ — لم يكن العربي ليفعل ما يبدوله . فقد قال أعرابي : « ما غبنت قط حتى يغبن قومي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم » (٢٣) .

ب — كان العربي إذا صرف همه عن جماعته وراح يجر المنافع إلى الغرباء ، ذمه قومه واستثقلوه . قال أبو الدببة الطائي :
وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لا ترجى وموتك فاجع (٢٤) .

ح — كان يبلغ سعى الرجل في سبيل عشيرته أن يبذل ابنته فيزوجها غريباً عزيز الجانب . ومما يروى في هذا الباب أن البراق خطب ابنة عمه إلى أبيها لُكَيْز فوعده بها ، ولكن لُكَيْزاً كان يختلف إلى ملك من ملوك اليمن يصله ويُجزل له العطاء ، واتفق أن وقعت ابنة لُكَيْز في قلب الملك ، فطلبها الملك إلى لُكَيْز ، فزفها الرجل إليه ، وفي مأموله أن يكون حصناً لقومه وفرجاً لشدائدهم (٢٥) .

وبعدُ فإننا لنلمس التماسك الحسى عند العرب في الحرب والجوار والنجدة والتأثر :

أما الحرب فقد كان العربي « أخاها » (٢٦) و « ابنها » (٢٧) على قولهم . ومعنى ذلك أن الحرب كانت شأن العرب (٢٨) . فلم يكن لهم سبيل عن

(٢٣) " البيان والتبيين " مصر ١٣١١ ج ٢ ص ٣١ .

(٢٤) " حماسة البحتري " ص ١٧١ .

(٢٥) " شعراء النصرانية " ص ١٤١ .

(٢٦) " حماسة البحتري " ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٢٧٠ .

(٢٧) « بنو الحرب يوماً إذا استلأموا » : " المفضليات " الفلسطينية ١٣٠٨ ج ١ ص ٢٣٥ .

ز " جمهرة أشعار العرب " ص ١٢٣ .

(٢٨) ظ " العرض عند عرب الجاهلية " ص ١٠٢ ي ي .

التضافر والمؤازرة ، وهم قوم يابون الضيم ولا يقيمون على خسف . والعرب في هذا تذكر بالجماعات التي يدرجها برجنسون Bergson ، الفيلسوف الفرنسي ، في أمم يجتمع أفرادها على الهجوم والدفاع^(٢٩) .

وأما الجوار فكان المستجير إذا انقطع إلى رجل واحد أعانه الحى^(٣٠) . وذلك لأن الجار تحميه القبيلة . قال عبد الله بن رواحة :
إذا ندعى لثار أو لجار فنحن الأكثرون بها عديدا^(٣١) .

وإنك لتصيب هذا عند عرب شرق الأردن لهذا العهد^(٣٢) . وذلك ما يعلل الحروب التي شبت بين الحى المجير وطراد المستجير^(٣٣) .

وأما النجدة فكانت العرب تصير فيها « يداً واحدة » . قال حريث ابن محفض المازنى :

ألم تر قومي إن دعاهم أخوهم

أجابوا وإن يغضب على القوم يغضبوا^(٣٤) ؟

(٢٩) *Les deux sources de la Morale et de la Religion*, Paris, 1933

الفصل الأول . ظ تقدى لهذا الكتاب في " الهلال " أبريل ١٩٣٤ ص ٦٩٦ ي . ي .

ز بين تماسك العرب وتماسك الأمم الفطرية من ناحية الحرب ، وارجع ههنا إلى

Maurice Davie, *La Guerre dans les Sociétés primitives*, Paris 1931

ص ٤٢ ، ٦٧ خاصة .

(٣٠) " حماسة أبي تمام " مصر ١٣٤٦ ج ٢ ص ٢٦٧ (ح) .

(٣١) " جبهة أشعار العرب " ص ١٢٢ .

(٣٢) بولس سامان " خمسة أعوام في شرق الأردن " حريصة (لبنان) ١٩٢٩ ص ١٣٠ .

ز أيضاً ص ١٢٥ ؛ Burckhardt ص ١٧٦ ي .

(٣٣) ابن الأثير " الكامل في التاريخ " ليدن ١٨٦٢ ي ي ج ١ ص ٤٧٠ ي ي .

" حماسة أبي تمام " مصر ١٣٦٤ ج ١ ص ٤٧ (ح) .

(٣٤) " طبقات الشعراء " ص ٧٤ .

ومما يذكر في هذا الموطن ، على سبيل المثل ، أن البراق لما انطلق إلى خطيئته ليستردها ناصرته عشراؤه .

هذا وإنك تلمس تماسك العرب الحسى في الثأر فوق ما لمستته فيما مضى من التبيينات . ومجمل القول هنا أن الثأر على ضريين : فإما أن يكون فعّالاً *actif* ، وهو الأخذ بالثأر ، أو انفعالياً *passif* ، فينحصر في تبعة الجماعة . أما الثأر الانفعالي : فرجال الحى مأخوذون بالجنابة التي يجزّئها أحدهم . ولولا أن العرب كانت تقتل الجماعة بالواحد ، فتشور الفتنة ، ما جاء في الكتاب : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »^(٣٥) ، وما زالت البدو على هذا حتى اليوم ، إلا إذا أعلن الجاني أنه خص نفسه بتبعة ما اقترفت يده^(٣٦) . وتعليل ذلك أن كل فرد مسؤول عن جماعته ، لأنه جزء منها ، من حيث إن ما لها له وما عليها عليه^(٣٧) . ومن هنا كان الموتور يتشقى بأى رجل ، على أن يكون من حى القتال^(٣٨) ، ومن هنا كان أهل الحى يتعاونون على الدية^(٣٩) .

ومما يدفع إلى الخيرة أن لامنس (الذى يُسند التفريط في التفرد إلى العربي) يقول ما مفاده : « كل فرد عند العرب يرى من المفروض

(٣٥) سو ٢ ، آ ١٧٨ .

(٣٦) " خمسة أعوام في شرقي الأردن " ص ١٣٨ .

(٣٧) *Moab* ص ١٤٥ ي . *Burckhardt* ص ٣١٦ .

(٣٨) " الأغاني " ج ١٦ ص ٢٧ . ذ ج ١٥ ص ١٥٣ : « وقتلت بنو سلول رجلا من خثعم مكان المقتول » .

(٣٩) ذ ج ٩ ص ٨٥ — ثم اذكر هنا « الخليع » ، و « الخليع الرجل يجنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيتبرؤن منه ومن جنابته ... » : " لسان العرب " ج ٩ ص ٤٣٠ ؛ ظ " العرض عند عرب الجاهلية " ص ٢١١ (ح) ٣ .

عليه أن يخلص الجاني ، ويشترك في الدية ، كأنه يشترك في فك أسير أو اصطناع معروف ، رعايةً منه أن ستكون به حاجة إلى مثل هذا التماسك»^(٤٠).

ذلك ما يتعلق بالتأثر الانفعالي . وأما التأثير الفعّال فالتماسك فيه لا يقل بروزاً . ومن شواهد ذلك أن الرجل إذا قُتل اضطر أهله إلى الأخذ بثأره . قال لبيد بن ربيعة يحض على المطالبة بدم عروة الرحال :

فأبلغ إن عرضت بني نمير وأخوال القتيل بني هلال
بأن الوافد الرحال أضحى مقيماً عند تيمن ذي الظلال^(٤١).

وينهض لذلك الأعمام والأخوال^(٤٢) . وفي الحقيقة أن القبيلة كلها كثيراً ما كانت تتأثر بالقتيل^(٤٣) ، فتغزو أو تنصب الحرب^(٤٤) . وأما اليوم فيتفق أن يعلن بعض أفراد القبيلة أنهم ثأرون بالقتيل عنها^(٤٥) .

(٤٠) ظ ... *L'Arabie Occidentale* بيروت ١٩٢٨ ص ١٨٩ .

(٤١) " الأغاني " ج ١٩ ص ٧٥ . للتحريض على « القتل بالتأثر وترك قبول الدية » ، ظ "حماسة البحترى" ص ٣٠ ي . ي . ز عند عرب هذا العهد *Moab* ص ٢٠١ ؛ " خمسة أعوام ... " ص ١١٨ .

(٤٢) يقول بروكش Procksch في كتاب وقفه على التأثر عند عرب الجاهلية *Ueber die Blutrache bei den vorislamischen Arabern...*, Leipzig, 1899 ص ٣٨٨ ي : « إن الأعمام يثأرون بالقتيل دون الأخوال » . ففي " شعراء النصرانية " ص ٧٦١ أن الآخذ بالتأثر يرفض أن يستعين بخال له ، مخافة أن يقال فيه إنه جبان . فللأخوال إذن أن يستعان بهم على طلب الدم . وشعر لبيد قبل يؤيد هذا .

(٤٣) " شعراء النصرانية " ص ٧٦١ . "حماسة البحترى" ص ٣٢ ش ٦ — ١٠ . " الأغاني " ج ١٥ ص ٥١ .

(٤٤) ابن الأثير ج ١ ص ٤٠٣ ، ٤١١ ي ٤٣٥ ، ٤٧٥ ، ٤٩٥ .

(٤٥) " خمسة أعوام ... " ص ١١١ .

تلك هي الحجج المختلفة التي تثبت أن العرب كانوا قوما متماسكين .
ولعلك تجد معي أنها مستخرجة من الوقائع لا مرتجلة^(٤٦) .

على أن هنالك مبحثاً يكون من مبحث التماسك بمكان الأس من
البنیان . ذلك أن تماسك العرب مصدره القرابة وما يترتب عليها من
العصبية ، تلك العصبية التي أفاض ابن خلدون في الكلام عليها ما شاء
الله أن يفيض^(٤٧) . إلا أن هذا المبحث الآخر يخرجنا عما نحن فيه ،
فحسبي الإشارة إليه .

(٤٦) لصحة الاستشهاد بأدب الجاهلية وصدر الإسلام ، ارجع الى " العرض عند عرب

الجاهلية " ص ٧ — ٢٠ .

(٤٧) " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ ص ١٢٨ ي ي .

البناء الاجتماعي عند عرب الجاهلية

لا شك أن القبيلة بنو أب واحد^(١) ، من حيث إنها تحتل تجمع أسر أرومتها واحدة . إلا أن التجمعات تتفاوت في القلة والكثرة ، وفي التعقد والبساطة . زد على ذلك أن للعرب ضروباً من التجمهر غير « القبيلة » ، فهناك : « القوم »^(٢) و « العشيرة »^(٣) و « المعشر »^(٤) و « الرهط »^(٥) و « الحى »^(٦) ، إلى جانب تعابير نحو قولهم : « بنو فلان »^(٧) و « آل فلان »^(٨) .

-
- (١) "المخصص" مصر ١٣٢٠ ج ٣ ص ١٢٠ . القلقشندي ، ظ بعد (ح) ٩ .
 (٢) مثلاً : "حماسة أبي تمام" مصر ١٣٤٦ ج ١ ص ٦٤ ي ج ٢ ص ٣٥٨ .
 "حماسة البحتري" مصر ١٩٢٩ ص ٣٠ ، ٣٨٧ . الجاحظ "البيان والتبيين"
 مصر ١٣١١ ج ١ ص ٧٣ .
 (٣) "الأغاني" مصر ١٢٨٥ ج ١٥ ص ٥٣ . ذ ، ط دار الكتب مصر ١٩٢٧ ج ٢
 ص ١٩٢ . ابن رشيق "العمدة" مصر ١٣٢٥ ج ٢ ص ١٣٩ . ز قبل ص ٧٨ .
 (٤) "البيان والتبيين" ج ١ ص ٧٣ . ابن قتيبة "عيون الأخبار" مصر ١٩٢٥ ج ١
 ص ٢٩٢ س ١١ . "الأغاني" ج ٦ ص ٨٨ . "حماسة البحتري" ص ٣١ ، ٣٤ .
 (٥) "عيون الأخبار" ج ٤ ص ٤ . "الأغاني" ج ٨ ص ٨٢ ج ٩ ص ٦ .
 "حماسة أبي تمام" ج ٢ ص ٢٣٩ . المبرد "الكامل" القسطنطينية ١٢٨٦ ص ٦ .
 (٦) "حماسة أبي تمام" ج ١ ص ٨٦ ، ٨٨ . "حماسة البحتري" ص ٣٢ .
 (٧) "حماسة أبي تمام" ج ٢ ص ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٢٥ . "شرح ديوان حسان بن ثابت"
 مصر ١٩٢٩ ص ٦٢ . "شعراء النصرانية" بيروت ١٨٩٠ ص ١٤٩ .
 (٨) "حماسة أبي تمام" ج ١ ص ٦١ . ظ قبل ص ٧٧ س ١٤ .

والذى عندى أنه ينبغى للباحث أن يلتفت إلى هذه الأقسام ، فينزل
كلا منها منزلتها من الفئة الشاملة . وعلى هذا الأسلوب يفحص عن
بناء العرب الاجتماعى *morphologie sociale* :

إن أنساب العرب — بحسب مذهب الماوردى^(٩) — تتدرج على هذا
الترتيب : الشعب (وهو النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان) ، ثم
القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة . وكل واحدة
من هذه الطبقات متشعبة من الطبقة التى تسبقها توتاً . ويزيد الماوردى
أن الأنساب إذا تباعدت (يعنى إذا تقادمت وتراجعت فى الزمان فضخم
النسل) صارت القبائل شعوباً والعمائر قبائل . . . إلى آخره .

والوجه أن هذا الترتيب مفتعل بعض الافتعال . ودليل ذلك أنك
رأيت فى فاتحة هذا المبحث أن النصوص تعرض لنا أقساماً للقبيلة نحو
الرھط وغيره . وهذا الماوردى يغفلها ، على أن ثمة من يثبتها فى الحديث
الموقوف على الجماعات عند العرب^(١٠) .

والذى لا معدل عنه ، أن يتدبر الباحث مسميات تلك الأقسام واحداً
واحداً ، إن أراد النظر فى البناء الاجتماعى عند العرب . وهذا أمر

(٩) " الأحكام السلطانية " Bonn ١٨٥٣ ص ٣٥٣ . ز " العقد الفريد " مصر ١٢٩٣
ج ٢ ص ٥٥ . " لسان العرب " ج ٥ ص ٣٧٠ . القلقشندى " نهاية الأرب فى
معرفة أنساب العرب " بغداد ١٣٣٢ ص ١٢ ي . وهناك ألوان من الترتيب :
ظ النويرى " نهاية الأرب فى فنون الأدب " مصر ١٩٢٤ ج ٢ ص ٢٩١ ي ؛
الألوسى " بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب " مصر ١٩٣٤ ج ٣ ص ١٨٩ .
(١٠) ظ الألوسى ض ك . ز الثعالبي " فقه اللغة " بيروت ١٨٨٥ ص ٢١٧ ي ؛
ابن السكيت " مختصر تهذيب الألفاظ " بيروت ١٨٩٧ ص ٢٢ ي ؛ الهمداني
" الألفاظ الكتابية " بيروت ١٩١٣ ص ٢٧٤ .

من وراء الطاقة ، لأن هذه المسميات — على ما تبدو — يكاد بعضها لا يختلف عن بعض . فهي على جانب عظيم من الإغلاق والاشتباه . مصداق ذلك أن الحى ربما استعمل للدلالة على الطبقات الست التى يسردها الماوردى^(١١) . وأما قولهم : « بنو فلان » و « آل فلان » فكانا يقومان مقام طائفة من هذه الطبقات^(١٢) . وعلى فرض أنهما يدلان على فئة معينة ، فالله أعلم ما كيفها وما كمها^(١٣) .

ويُضاف إلى ذلك أن سائر المسميات التى تفيد أقسام القبيلة وتقاريقها ليست على شىء من الدقة ، بل الأقوال فيها متضاربة .^(١٤) ولحظة إلى باب " أسماء الجماعات " من كتاب " الخصاص " لابن سيده (ج ٣ ص ١١٨ — ١٣١) وغيره من المؤلفات ، تؤيد ما أذهب إليه . وإليك التفصيل :

أما « العشيرة » فكانها تلبس بالقبيلة^(١٥) ، وقيل : إنها

(١١) الألوسى ج ٣ ص ١٩٠ . ز " تاج العروس " ج ١٠ ص ١٠٥ س ٢ تحت . وفى " نهاية الأرب ... " للقلقشندي ص ١٣ : « وربما عبر عن واحد من الطبقات الست بالحي ، إما على العموم مثل أن يقال : حي من العرب ، وإما على الخصوص مثل أن يقال : حي من بني فلان » .

(١٢) الألوسى ج ٣ ، ص ١٩٢ .

(١٣) إليك مثلاً " حماسة أبي تمام " ج ١ ص ٤٨ ، ٥٠ (ح) ، ٩٠ (ح) ، ج ٢ ص ٢٠٣ . ز " تاج العروس " ج ١٠ ص ١٠٥ س ٢ تحت : « ... كثروا أو قلوا » .

(١٤) وكذلك المسميات التى تفيد أقسام الجماعة عند بدو هذا الزمان : ظ Jaussen, Coutumes des Arabes au pays de Moab باريس ١٩٠٨

ص ١١٢ .

(١٥) " المصباح المنير " مصر ١٩١٢ ص ٦٢٨ . " تاج العروس " ج ٣ ص ٤٠٢ .

« بنو العم »^(١٦) . وأما « المعشر » فإنَّ هو إلا الجماعة من الناس^(١٧) ،
وبعضهم يرى فيه أهل الرجل أى أسرته^(١٨) . وأما « القوم » فقليل :
الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعداً^(١٩) ، وقيل : الجماعة من أب
واحد^(٢٠) ، وقيل : جماعة رجال لا نساء فيهم^(٢١) ، وقيل : الجماعة
من الرجال والنساء معاً^(٢٢) . وأما « الرهط » فقليل : كالنفر أى
ما دون العشرة من الرجال^(٢٣) ، وربما جاوز ذلك بعض المجاوزة^(٢٤) ،
وقيل : العشيرة ، وقيل : القوم والقبيلة^(٢٥) .

هذا وهنالك مسميات أخرى ، ولكنها محدودة . من ذلك قولهم :
« بنو الأعيان » و « بنو العلات » و « بنو الأخياف »^(٢٦) .

والخلاصة أن الناظر فى الألفاظ الدالة على بناء العرب الاجتماعى كالناظر
فى كتاب تداخلت سطورہ . على أننا لا نشك أن تلك الألفاظ كانت

-
- (١٦) أبو زيد القرشى " جبهة أشعار العرب " مصر ١٣٠٨ ص ٨٩ .
(١٧) " المصباح المنير " ص ٦٢٨ .
(١٨) " تاج العروس " ج ٣ ص ٤٠٢ .
(١٩) " المختص " ج ٣ ص ١١٩ (عن أبى على) .
(٢٠) " المصباح المنير " ص ٨٠٢ .
(٢١) " المختص " ج ٣ ص ١١٩ (عن أحمد بن يحيى) .
(٢٢) " تاج العروس " ج ٩ ص ٣٤ . الميدانى " أمثال " مصر ١٣٤٢ ج ١ ص ٢٧ .
(٢٣) " المختص " ج ٣ ص ١١٩ (عن أبى عبيد) .
(٢٤) ذ (عن ابن دريد) .
(٢٥) " المصباح المنير " ٣٧١ . " تاج العروس " ج ٥ ص ١٤٤ .
(٢٦) « فإذا كانوا بنى أب واحد وأم واحدة فهم بنو الأعيان . فإذا كان أبوهم واحداً
وأمهاتهم شتى فهم بنو العلات . فإذا كانت أمهم واحدة وأباؤهم شتى فهم بنو الأخياف » :
الثعالبي " فقه اللغة " ص ٢١٨ . ز " لسان العرب " ج ١٧ ص ١٨١
س ١٢ ي ي .

تفيد جماعات متميِّزة *distinctes* ، قليلاً أو كثيراً ، لأنه من الشطط أن يقال إنها كانت جميعها مترادفة . والمتبادر إلى الذهن أن مفاداتها — مُحَقَّقةً — غابت اليوم عنا ، إذ ليس بين أيدينا نصوص تحدِّدها وتعرِّفها على نحوٍ ينفي عنها اللبس ، وينزهها عن الإشكال . فضلاً عن أننا أصبحنا لا نكاد نصيها عند بدو هذا العصر ، إذ هجرت ألسنتهم أو ماتت دون شفاهم ، أو تحولت من مدلول إلى مدلول^(٢٧) .

لا جرم أن الأمر مما يضيق به الصدر . فها نحن أولاء لا نقدر أن نفحص عن بناء العرب الاجتماعي في زمن الجاهلية . وعسى أن نسدد النظر في ذلك البناء من جهة اعتبار العدد . غير أن من وراء ذلك قليل رجاء . من يقول بأنه يستطيع أن يرسم لذلك البناء خِطَّةً تتدرج من الفئة ذات الجزء الفرد حتى تنتهي إلى الفئة الجامعة لأجزاء كثيرة .

فإن نحن سلطنا طريقة المارودى ، أوحدونا حدو غيره ممن عرض لاستجلاء بناء العرب الاجتماعي ، صرنا — في مختتم المسلك — إلى تحليل غير وافي ولا مجدٍ . وسبب ذلك أن هذا التحليل إنما يكون من الخارج *du dehors* على تعبير الفلاسفة ، لأنه لا يعمد إلى ترتيب أقسام القبيلة الشاملة بالنظر إلى خواصها ، نحو درجة قرابة أفرادها ومقدار مجانستهم *homogénéité*^(٢٨) ، بل بالنظر إلى تعاقبها في الزمان ، أعنى تشعب

(٢٧) *Moab* ص ١١١ ي (ح) .

(٢٨) ظ للفظه « المجانسة » : ابن سينا " النجاة " مصر ١٣٣١ ص ٣٢٤ تحت ،

ص ٣٦٥ س ١١ . ز ترجمة *Carame, Avic. met. compendium* رومة

١٩٢٦ ص ٤ ، ٦٥ ؛ *Goichon, Introduction à Avicenne*

بعضها من بعض ونسبة هذا القسم إلى ذاك من جهة اتساعه . وهذه الطريقة الأخيرة لا تغنى شيئاً جليلاً ، وبيان ذلك أنّ الباحث إن علم أن « القبيلة » تضم « العماثر » وأن « العماراة » تضم « البطون » إلى آخر ما هنالك ، فهيات أن يعرف ما يميز بعضها من بعض من حيث البناء الاجتماعى .

فترانى حينئذ مضطراً إلى أن أدرج الفئات كلها — من غير تمييز — تحت لفظة « الجماعة » ، ذلك بأن الجماعة تستغرقها جميعاً لما هى عليه من العموم ، بل أصرح فأقول : لما هى عليه من الإبهام . فاستعملها فى هذا الموطن — إذن — خير من استعمال لفظة « القبيلة » للقصر الذى ألحقه بها مثل ترتيب الماوردى ، كما مر بك .

على أنى أعد كل واحدة من هذه الفئات — سواء أكانت كبيرة أم صغيرة ، شاملة أم مشمولة — طائفةً من الناس تحولهم صلة الرحم وشركة الاسم والمنزل والتملك إلى « جماعة » تستمد عزّتها من جاه رئيسها وقوة تقاليدها ، ثم من اتفاق شعور أعضائها وتساير عواطفهم وعاداتهم ، ثم من تماسكهم الفعّال والمنفعل جميعاً .

ولعل ظاناً يظن أن العربى كان يلحق بما يزيد على فئة ، وربما قرّب هذا الظن إلى رأيه ما شهدته المستشرق جوسين JAUSSEN عند عرب مؤاب لهذا العهد ، فقد حكى أن ثلاثة أحياء من قبيلة واحدة كان بعضهم على بعض حرباً ، حتى إذا كرّ العدو الغريب عليهم تحالفوا وثبتوا له صفّاً (٢٩) .

باريس ١٩٣٣ ص ٣٠ . ومن ذلك : « المتجانس » ، ظ ابن سينا

"تسع رسائل ... " مصر ١٩٠٨ ص ٩٦ .

(٢٩) Moab ص ١١٤ .

والذى فى الواقع أن العربى ما كان ليلحق بفئتين أو ثلاث فى آنٍ إلا بالقوة *en puissance* ؛ وأما بالفعل *en acte* فلم يلحق إلا بالفئة التى كان يعمل لها . فكان الحى ينزل الحى المجاور ، ثم يتحالفان لقرابة بينهما ، فيشنان الغارة على الجماعة الغريبة عنهما^(٣٠) .

ويتصل بهذا أن العربى إذا نخر بأبى قبيلته لم يرجع لساعته إلى نخذه ، مثلاً ، بل إلى القبيلة ؛ وإذا اتفق له أن يفخر بأبى نخذه أفلت لوقته من سلطان قبيلته . ومن هنا يتبين أن كل فئة كانت تحيا فى ذاتها وبذاتها *en soi et par soi* ، مع الصلات التى كانت بينها وبين الفئات التى يتشعب منها ، أو بينها وبين الفئة التى تتشعب هى منها .

وكأنى بك تعترض علىّ بأن عناصر العِرض فى الجاهلية^(٣١) ربما اختلفت باختلاف الجماعات . فالواقعات تدفع هذا الاعتراض دفعاً ، إلا فيما يتعلق بالأسرة . ولذلك أجعل بين « الأسرة » أى « الأهل » و « الجماعة » أى أفراد القبيلة أو الحى إلى آخر ما هنالك ، حداً فاصلاً :

إن الأسرة البدوية لهذا العهد تضمُّ الأقارب الأدينين وذرايرهم ، أى جميع الذين يقيمون بيت واحد ويخضعون لسيد واحد^(٣٢) . على أنى أعترف بأنى أجهل هل كانت الأسرة تعدو حدود البيت فى زمن الجاهلية . وقصة هذا أن الأسرة — فى ذلك العهد — كان يعبر عنها بلفظة : الأهل^(٣٣) ،

(٣٠) وتلمس حياة هذه العادة فى المثل الشائع على ألسنة العامة : « أنا واخويا على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب » .

(٣١) والتى وصفتها فى " العِرض عند عرب الجاهلية " .

(٣٢) *Moab* ص ١٢ ي .

(٣٣) البخارى " صحيح " مصر ١٣٤٣ ج ٣ ص ٢٥ . " العقد الفريد " ج ١ ص ٥٠ . " شرح ديوان حسان ... " ص ١٢٩ . ز " الأغاني " ج ٢ ، ص ١٩١ ج ١٦ ص ٢٣ ؛ الميدانى " أمثال " ج ٢ ص ١٧٨ ، ٢٩٩ .

فيما يغلب على الظن . وهذه اللفظة تكاد تبدو أقل اشتباهاً من الألفاظ التي سقناها عند الكلام على أقسام القبيلة^(٣٤) .

والنتيجة أن كلاً من الأسرة والجماعة يعصى على الحد الدقيق . إلا أنه من البعيد أن تلتبس الأسرة بالجماعة . فكل واحدة منهما تتميز من صاحبتهما . ودليل ذلك أنك إن اطلعت على النصوص الجاهلية ، فرقت — من طريق السياق ، في غير كلفة عليك — بين الأسرة والجماعة ، كلما انتقلت من خبر إلى خبر ، على جهلك مقدار اتساع الجماعة ، وكيفية بناء الأسرة^(٣٥) .

ثم ز " المصباح المنير " ص ٤٧ . وفي " المخصص " ج ٣ ص ١٢٨ : « أهل الرجل أخص الناس به » (عن أبي زيد) . ثم ظ الأحاديث النبوية المدونة في المسانيد المعتبرة ، وتجد مواطنها في : ١ . ي . فنسك Wensinck " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي " ليدن ١٩٣٤ ي . ي ، الفصل الثالث ص ٢٣٦ ي . ي (أهل بيت الرجل) .

(٣٤) مثلاً : " تاج العروس " ج ٧ ص ٢١٧ . " القاموس المحيط " ، مصر ١٢٨٩ ج ٣ ص ٣٨١ : « أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه » . وفي " أساس البلاغة " مصر ١٩٢٢ ج ١ ص ٢٦ : « تأهل الرجل : تزوج ؛ ورجل أهل » ؛ وفي الحديث : « انه أعطى العزب حظاً وأعطي الأهل حظين » ؛ وفي " المصباح المنير " ص ٤٧ : « ويطلق الأهل على الزوجة ، والأهل أهل البيت ، والأصل فيه القرابة وقد أطلق على الاتباع » . ومن ذلك قولهم : « مرحباً وأهلاً ، أي صادفت أهلاً لا غرباء » (" القاموس المحيط " ض ك) . ثم اتسع معنى لفظه الأهل ، فقل : « أهل البلد من استوطنه ؛ وأهل العلم من اتصف به ... والأهلي من الدواب ما ألفت المنازل » (" المصباح المنير " ض ك) .

(٣٥) لم أستعمل لفظه « الأسرة » جزافاً . فالشعالي في " فقه اللغة " ، بيروت ١٨٨٥ ، ص ٢١٨ ، أثبتتها في خاتمة " تدرج القبيلة من الكثرة إلى القلة " . ز ما جاء في " المخصص " ج ٣ ، ص ١٣٠ ؛ " تاج العروس " . ج ٣ ص ١٣ ؛ " نهاية الأرب ... " ج ٢ ص ٣٠٠ . وفي " لسان العرب " ج ٥ ص ٧٧ ما حرفته : « أسرة الرجل عشيرته ورهطه الأذنون » ثم « عشيرة الرجل وأهل بيته » . فاستناداً إلى هذا الحرف (وإن لم ينزّه الإشكال ؛ وما أبعد بعض الألفاظ العربية القديمة عن الوضوح التام للمتأخرين !) ، تفيد الأسرة ما تسميه عامة مصر : « العائلة » (وتستعمل الآن في مصر بهذا المعنى) .

تاريخ لفظة الشرف

(محاولة) *

سَلْ أَحَدًا مِنَ الْعَامَّةِ : مَا الشَّرَفُ ؟ يَأْخُذُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ لَا مَدْخَلَ لَهُ وَلَا مَخْرَجَ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّرَفَ مُدْرَكٌ مُلْتَبِسٌ concept confus ، والمُدْرَكَاتُ المُلْتَبِسَةُ يَتَعَذَّرُ تَحْدِيدُهَا عَلَى ذَهْنِ فَاتِهِ التَّهْذِيبِ . ثُمَّ سَلْ أَحَدًا مِنَ الْمُتَأَدِّينَ : أَيُّ شَيْءٍ يَفِيدُ الشَّرَفَ ؟ تَدْفَعُهُ إِلَى الْحَيْرَةِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لَلْفِظَةِ الشَّرَفِ مَفَادَاتٍ مُتَجَاوِرَةً تَارَةً ، مُتَبَايِنَةً أُخْرَى ^(١) . وَإِذَا قُلْتُ الشَّرَفَ عَنَيْتُ تِلْكَ الْكَلِمَةَ الَّتِي نَعْرِفُهَا كُلُّنَا ، وَنُسْتَعْمِلُهَا اسْتِعْمَالًا مَطْرَدًا بِمَا تَوَاضَعْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى .

فَالشَّرَفُ لَفْظَةٌ مُشْتَبِهَةٌ . وَأَقْطَعُ دَلِيلًا عَلَى هَذَا أَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ عَدَّوْهَا كَذَلِكَ . فَهَذَا ابْنُ فَارَسٍ مِنْ أُمَّةِ الْمِئَةِ الرَّابِعَةِ يَقُولُ :

* أَلْقَى هَذَا الْمَبْحَثُ مُخْتَصَرًا ، عَلَى سَبِيلِ الْإِمْدَادِ ، فِي مَدْرَسَةِ الْعُلُومِ الشَّرْقِيَّةِ لِلْجَامِعَةِ الْأُمْرِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ فِي الْأَوَّلِ مِنْ مَارَسِ سَنَةِ ١٩٣٩ .

(١) لَلْفِظَةِ الشَّرَفِ وَمُشْتَقَّاتُهَا مَدْلُولَاتٌ لَا نَلْتَفِتُ إِلَيْهَا هُنَا ، وَتَجِدُهَا فِي الْمَعْجَمَاتِ . وَهِيَ مَتْرُوكَةٌ أَوْ قَلِيلَةٌ الْإِسْتِعْمَالِ . مِنْهَا : أُذُنٌ شَرَفَاءُ : طَوِيلَةٌ ، الْإِشْرَافُ : الشَّفَقَةُ ، الشَّارِفُ مِنَ الْإِبِلِ : الْمُسَنَّ ، الشَّرَفُ : الطَّيْنُ الْأَحْمَرُ وَالْوَجْهَ ، الْخُظُّ مِثْلًا " لِسَانُ الْعَرَبِ " ج ١١ ص ٧٥ ي .

« ومن المشتبه الذي لا يقال فيه اليوم إلا بالتقريب والاحتمال ، وما هو
بغريب اللفظ ، لكنّ الوقوف على كنهه معتاص ، قولنا ... الشريف ...
والأشراف ... »^(٢) .

وهذا الاشتباه ما جعل الكلام المدّون في المعجمات ، تحت لفظة
الشرف ، يمجى ويذهب^(٣) . وأما كتب الأدب فالشرف فيها أكثر
قلقاً ، لأن أصحابها لا يلتزمون النصوص الأولى التزام أصحاب المعجمات لها .
مثال ذلك ما جاء في " كتاب العرب " ^(٤) لابن قتيبة و " زهر
الآداب " ^(٥) للحصري . فعند ابن قتيبة يرجع الشرف الى أربعة :
النسب ، وخلق الإنسان ، وفعال الآباء ، والكرم (ضد اللؤم) .
وأما الحصري فالشرف على قلمه يدور على النسب الرفيع ، والحسب العالى ،
والانتساب إلى النبي أو إلى مضر ، والشجاعة والعلم والأدب وحسن الأخلاق .

وفى رأي أن قول الحصري ، ولا سيما قول ابن قتيبة ، على جانب
من التردد بل التضارب . وعلة ذلك أنهما أرادا أن يجمعا أشتات
المدلولات المعروفة في عهدهما للفظ الشرف ، من دون أن يميّزا المدلول
المقيم من المدلول الطارئ . فتحكّما شيئاً في الحدّ والشرح والتفصيل ،

(٢) " الصاحبي " مصر ١٩١٠ ص ٣٦ ي . أضيف إلى هذا أن الشرف من
الأضداد : « وقالوا الشرف : الارتفاع ، والشرف : الانحدار » (إلا أن الارتفاع
هو المشهور) ، ظ ابن قطرب " كتاب الأضداد " ط H. Kofler مجلة
Islamica المجلد ٥ ص ٢٥٢ رقم ٥١ .

(٣) ظ مثلاً " لسان العرب " ج ١١ ص ٧١ ي .

(٤) في " رسائل البلغاء " ط محمد كرد علي ، مصر ١٩١٣ ص ٢٧٩ ي .

(٥) ط ثانية لزكى مبارك ، مصر ج ١ ص ١٣٥ .

بدلاً من أن يعوّلاً على النصوص التي وردت فيها لفظة الشرف ، عهداً بعد عهد ، فيخرجها منها بقول يقارب الواقع على تحوّلها .

هذا ولو جاءت لفظة الشرف في القرآن لتيسّر البحث ، لأن القرآن الحجة العليا في مثل هذه المشكلات .

وبعدُ ، فدعني أحاول تعقّب مدلولات الشرف ، وردّها إلى أصل ثابت ، أو إلى فرع من فروعها الباسقة ، بسلوك طريق الاحتمال والإمكان ، مستنداً إلى النصوص الجليّة :

المدلول الحقيقي للفظّة الشرف ومشتقاتها^(٦) : العلو والارتفاع . وهو الأصل ، لأنه حسّي ؛ والحسيّات قبل المعنويات ، كما أن الحقيقة قبل المجاز . وشاهد ذلك المدلول الحسي المثلّ العربيّ القديم : « على الشرف الأقصى فابعد » (والشرف الأقصى : المكان العالى^(٧)) . وعلى هذا — فيما يسبق إلى الظن — قيل لأعلى جبل ببلاد العرب :

(٦) في رأى الأب أنستاس مارى الكرملى " نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها " مصر ١٩٣٨ ص ١٣٠ ، أن كلمة الشرف « (ويقال فيها السرف) ... تنظر إلى اللاتينية super أى فوق أو إلى superus أى عال أو قائم في العلو أو مشرف ... » .

وفي هذا المبحث لا تعرض لاشتقاق لفظة الشرف ، فإنما كلامنا على تحوّل مفاداتها .

(٧) الميدانى " أمثال " مصر ١٣٤٢ ج ١ ص ٤٢٩ (قال هذا المثل أكرم بن صيفى وهو من حكماء العرب في الجاهلية ، ظ الألوسى " بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب " مصر ١٣١٤ ج ١ ص ١٥١) .

شريف^(٨) . وفي الشعر الجاهلي ما يعزز هذا^(٩) . ثم في الحديث الصحيح ما حرفه : « ... ولا ينتهب (الرجل) نهبةً ذات شرف ، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها ، وهو مؤمن »^(١٠) .

ثم انتقلت كلمة الشرف من حيز الحقيقة إلى أفق المجاز ، جرياً على سُنّة تدرّج الألفاظ من الحسن إلى المعنى ، فأفادت رفعة المنزلة . قال الشاعر الجاهلي :

لحى الله قوماً أنكحوا بنت خيرهم بنى صارمٍ يُبغونها شرفَ المجد^(١١) .
وقال حسان :

دع ذا وعدّ القريض في نفر يرجون مدحى ومدحى الشرف^(١٢) .
وعليه ما جاء في الحديث : « اللهم لك الشرف على كل شرف »^(١٣) .

- (٨) الفيروزابادى " القاموس " مصر ١٢٨٩ ج ٣ ص ١٨١ .
(٩) ولقد نظرت ودون قويمٍ منظر من قيسّسرونَ فبَلَقَ فَسْلَابُ
فجبالٍ أَيْلَةً فالحَصْبُ دوتنا فأولات ذى عِلْجانَةٍ فذُهابُ
خَسِبَتْ أَنى قد بدا لى طودُهُم كَفَوْا عَلَى أَشْرَافِهِنَّ ضَبَابُ
" أشعار الهذليين " ط Wellhausen برلين ١٨٨٤ ص ٦٠ . زأبو زيد القرشى
" جبهة أشعار العرب " مصر ١٣٠٨ ص ١٣٠ ش ١٠ .
(١٠) البخارى " صحيح " مصر ١٣٤٣ ج ٣ ص ١٩٨ . مسلم " صحيح " مصر ١٣٣٤
ج ١ ص ٥٤ ي . (ورد الحديث أيضاً من غير « ذات شرف » ، ظ مسلم ض ك) .
ثم في المعجمات ، مثلاً " لسان العرب " ج ١١ ص ٧١ ي : « علا شرفاً من
الأرض ... وهو المكان المشرف ، ومشارف الأرض : معاليها ، واستشرف الشيء :
رفع رأسه ينظر إليه ، وأشرف الشيء وعلى الشيء : علاه ، والشرفة : أعلى الشيء » .
(١١) " أشعار الهذليين " ص ٩ .
(١٢) " شرح ديوان حسان بن ثابت " مصر ١٩٢٩ ص ٢٨٤ .
(١٣) ابن حنبل " مسند " مصر ١٣١٣ ج ٣ ص ١٢٧ ، ٢٣٩ . ومنه في المعجمات ، مثلاً
" أساس البلاغة " مصر ١٩٢٢ ج ١ ص ٤٦٢ ، ٤٨٧ : « فلان قد تسنم ذروة
الشرف ، ولفلان شرف وهو علو المنزلة » .

ثم صار الشرف الرفعة في القوم خاصة ، وذلك من باب إطلاق العام على الخاص *par voie de restriction* . وإليه يرجع فصل من كتاب " الألفاظ الكتابية " للهمداني ، عنوانه " باب في الشرف والتسامي " (١٤) .

وعلى هذا الوجه دلّ الشرف على السيادة والسؤدد في كتب العرب (١٥) ، ودلّت الأشراف على السادة (١٦) . ويرتدّ هذا إلى مثل قول رؤساء قریش للرسول : « ... وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا » (١٧) .

ومن المحقق أن في الجاهلية طبقة الأشراف ، كما جاء في الكتب التي يجري فيها الكلام على عرب ذلك العهد وما يتصل به من صدر الإسلام . ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في " أشعار الهذليين " (١٨) : « وخرج من فهم ثلاثمائة أو أربعمائة أو زيادة : الأشراف فالأشراف » . وعلى هذا النحو كان لقریش أشرافها (١٩) ، وكان لسائر

(١٤) بيروت ١٩١٣ ص ٣٢ . وقد جاء تحت هذا الفصل : « ... فلان في بيت شرف قبيلة كذا ، وهو في ذراها وذروتها ، وهو زعيم قومه ، وفقى قومه ، ونظامهم وقوامهم ؛ وقد سادهم وفضلهم ... » .

(١٥) ابن قتيبة " عيون الأخبار " مصر ١٩٢٥ ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ . الأبيهي " المستطرف ... " مصر ١٣٤٨ ج ١ ص ١٨٣ . ظ قول علقمة بن علاثة في وفود العرب على كسرى : « كلهم ... بالشرف والسودد موصوف » : ابن قتيبة " العقد الفريد " مصر ١٢٩٣ ج ١ ص ١٢٩ . ز البغدادي " خزنة الأدب " مصر ١٣٤٨ ج ٢ ص ٥٧ .

(١٦) " عيون الأخبار " ج ١ ص ٣٣٢ . تجد هاتين اللفظتين مقرونتين في : الواحدى " أسباب النزول " مصر ١٣١٥ ص ١٦٣ ، ٢٢١ ، ٣٤١ ؛ ابن هشام " السيرة " مصر ١٣٤٦ ج ١ ص ٢٦٥ ، ٢٧٢ . ز " لسان العرب " ج ١٥ ص ٢٧٤ : « المضخم : السيد الضخم الشريف » .

(١٧) " أسباب النزول " ص ٢٢١ .

(١٨) ص ٥٣ .

(١٩) " العقد الفريد " ج ٢ ص ٥٤ . ز الألوسى ج ١ ص ٣٤٩ .

العرب أشرافها^(٢٠) ، ولليهود والنصارى أشرافهم^(٣١) . (ويقابل الشريف الوضيع^(٢٢)) .

وأكبر الظن أن الرجل لم يكن شريفاً (أى رفيعاً في قومه) إلا إذا كرم محتده وصفاً بنسبه^(٢٣) . وهذا من قبيل تقييد المعنى . وشاهد ذلك أن حسان بن ثابت لما أراد أن يفتخر بنسبه قال :

ألم ترنا أولادَ عمرو بن عامرٍ لنا شرف يعلو على كل مرتقى
رسا في قرار الأرض ثم سمت له فروع تسامى كل نجمٍ مخلّق
ملوك وأبناء الملوك كأننا سوارى نجوم طالعٍ بمشرق

إلى آخر ما هنالك من تعداد مآثر الآباء^(٢٤) . وعلى ذلك قول عمرو بن امرئ القيس الأنصارى :

(٢٠) " أسباب النزول " ص ١٦٣ . ز أيضاً ١٦٣ ، ٢٧٥ ؛ البخارى " صحيح " ج ٤ ص ٧٥ ؛ ابن هشام " السيرة " ج ١ ص ٣٩٣ ؛ " أشعار الهذليين " ص ٣٠ ؛ ابن دريد " اشتقاق " Goettingen ١٨٥٤ ص ٢١٥ ؛ الميدانى ج ٢ ص ٦٧ . (« وكان لبني جواداً شريفاً في الجاهلية والإسلام » : " جبهة أشعار العرب " ص ٣٠ .)

(٢١) " أسباب النزول " ص ٦٧ ، ١٤٥ ، ١٤٧ .

(٢٢) " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٦٥ ، ٢٧٥ . ز الجاحظ " المحاسن والأضداد " مصر ١٩٢٣ ص ١٠٠ ؛ ابن المقفع " الأدب الصغير " في " رسائل البلغاء " مصر ١٩١٣ ص ٣٥ .

(ويقابل الشرف الضعة : الجاحظ " الحيوان " ط عبد السلام هارون مصر ١٩٣٨ ج ١ ص ٣٥٩ . ومن ذلك « كان يقال : التواضع والشرف » : " العقد الفريد " ج ١ ص ٣٤٥ ؛ " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢٣) قيل للأحنف : « بجم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتاً ولا ... ؟ » : " المستطرف " ج ١ ص ١٨٣ .

(٢٤) " شرح ديوان حسان ... " ص ٢٨٦ .

إني لأنمي إذا انتميت إلى غُرِّ كرام وقومنا شرف^(٢٥).
ويضاف الى هذا أنَّ العبد كان مجهول الآباء ، قاعد النسب^(٢٦) ،
فلا شرف له . قال حسان :

ومن لئيمٍ عبدٍ يحالفكم ليست له دِعوة ولا شرف^(٢٧).
وقال درهم بن يزيد الأوسى :

لا نرفع العبد فوق سنته ما دام منا بيطنها شرف^(٢٨).

فالشرف أفاد كرم النسب . ولهذا كان يقال : « في بني فلان الشرف
والبيت . وبيت العرب : شرفها (ج : بيوت وبيوتات) . والبيت من
بيوتات العرب : الذي يضم شرف القبيلة ... وبيت تميم في بني حنظلة
أى شرفها ... وفلان بيت قومه أى شريفهم ... »^(٢٩) . ومن ذلك
قولهم : « وإنَّ حسبك كمُتَعَدِّ — أى يقعدك عن بلوغ الشرف »^(٣٠) .
وإلى مثل هذه القولة نظر ابن هشام إذ كتب : « محمد أشرف العرب
نسباً وحسباً ... »^(٣١) .

-
- (٢٥) " جهرة أشعار العرب " ص ١٢٨ .
(٢٦) ظ " العرض عند عرب الجاهلية " باريس ١٩٣٢ ص ١٥٦ ي .
(٢٧) " شرح ديوان ... " ص ٢٨٥ (والدعوة : القرابة ... ، ظ " المصباح المنير"
مصر ١٩١٢ ص ٢٩٨ ي) .
(٢٨) " شرح ديوان حسان ... " ص ٢٧٩ . ز " جهرة أشعار العرب "
ص ١٢٢ س ٢ تحت .
(٢٩) " لسان العرب " ج ٢ ص ٣١٧ . ز " الألفاظ الكتابية " ض ك ؛ ابن خلدون " مقدمة "
بيروت ١٩٠٠ ص ١٣٤ ؛ " العرض عند عرب الجاهلية " ص ١٠٠ — وفي : ابن سلام
" طبقات الشعراء " مصر مطبعة السعادة ص ١٩ : « وفيه بيت تميم وشرفها » .
(٣٠) " أساس البلاغة " ج ٢ ص ٢٦٦ . (قال ابن سيده " المخصص " ج ٣
ص ١٥٢ ي : « التزيغ : الشريف من القوم الذى نزع إلى عرق » .)
(٣١) " السيرة " ج ١ ص ٦٩ .

ولعلك تستخلص مما تقدم أنَّ الشرف بهذا المعنى يرادف الحسب .
وإلى هذا ذهب نفر من الأئمة^(٣٢) . والذي يبدو لي أنَّ الحسب يحتمل
معنى الشرف ، وكأنه تاج له . ولكنه يتميز منه ، إذ يلحق بفعال الأجداد .
على حين أنَّ الشرف موقوف على صفاء النسب . فكأن الشرف بهذا المعنى
حال واقفة état statique والحسب حال ناشطة état dynamique^(٣٣) .

وبصفاء النسب كانت العرب تُمدح ، وبالأنساب التي فيها دخل ولؤم
كانت تُذم^(٣٤) . ثم كانت في الشرف تتنازع ، وذلك لون من ألوان
مفاخراتهم ومنافراتهم ، ويقال له : المصارفة^(٣٥) .

تلك المدلولات التي تنتهي إلينا مما يُعزى إلى زمن الجاهلية ومنبثق
الإسلام . فلنتعقبها بعض التعقب في ما جاء بعد ذلك من الزمن .

أما المدلول الأول ، وهو الحسب ، فالظاهر أنه تنحى للمدلول الثاني ،
وهو المعنوي ، فلم يرد إلا بقدر^(٣٦) . والحق أن هذا المدلول الأوّل لا وزن له
في هذا المبحث ، لأنّ الذي يعيننا من لفظة الشرف إنما هو معناها المجازي .

(٣٢) مثلاً : أبو علي القالي " الأمل " مصر ١٣٢٤ ج ٢ ص ١١٩ .

(٣٣) اطلب تبين هذا في " العرض عند عرب الجاهلية " ص ٨٧ .

(٣٤) ذ ، ص ٨٦ (« الشرف » عنصر من عناصر العرض) .

(٣٥) " لسان العرب " ج ١١ ص ٧١ . ز قول الجاحظ " مناقب الترك " في

" مجموعة رسائل " مصر ١٣٢٤ ص ١٢ : « ونحن (أي العرب) أصحاب

التفاخر والتنافر والتنازع في الشرف » . ثم ظ بشر فارس " تكملة دائرة

المعارف الإسلامية " ليدن ١٩٣٧ مادة " مفاخرة " .

(٣٦) أمثال على وروده : " جمهرة أشعار العرب " ص ١٦٣ ، ١٦٥ : « قصر مشرف

وبيت مشرف » (للفرزدق) . البحتری " ديوان " بيروت ١٩١١ ص ١٧٨

ش ٣ تحت ، ١٩٤ ش ٦ .

وبدلاً من أن نبدأ بمدلول الرفعة ، وهو المعنى المجازي الأول ، لنستهل
التعقب بالمدلول الثالث ، وهو صفاء النسب ؛ وذلك لأنه المدلول الغالب
في مختتم الجاهلية :

سلك الإسلام الدين في كل شيء ، ونصب التقوى في وجه الحميّة
الجاهليّة^(٣٧) . فأصبح أكرم الناس عند الله أتقاهم^(٣٨) لا أعلاهم نسباً
ولا أكرمهم محتداً^(٣٩) ؛ لأن الناس قد خلقهم الله من ذكر وأنثى
وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا^(٤٠) ، لا ليتفاخروا بالنسب . فلتذهب إذن
« نخوة الجاهلية ونفخها بالآباء »^(٤١) . وعلى هذا ما أثر عن الرسول
في الحديث الصحيح^(٤٢) : « ما ذئبان عاديان أصابا فريقة غنم بأفسد فيها ،

(٣٧) ظ " القرآن " سو ٤٨ آ ٢٦ .

(٣٨) ذ ، سو ٤٩ آ ١٣ . ز البخارى " صحيح " ج ٢ ص ١٤٥ ، ج ٣
ص ١٤٤ ؛ في : يعقوبى " تاريخ " ليدن ١٨٨٣ ج ٢ ص ١٠٠ :
« السعادة في اثنتين : الطاعة والتقوى » .

(٣٩) ظ شرح الآية السابقة ، مثلاً : البيضاوى " تفسير " مصر ١٩٢٦ ص ٧١٤ .
ز البخارى ج ٢ ص ١٤٥ : « قيل : يا رسول الله من أكرم الناس
قال : أتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك ... قال : فعن معادن العرب
تسألون ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا » . ثم تأمل
قول واصل بن عطاء : « نسبي الإسلام ... » : " المستطرف " ج ٢ ص ١٦ .
(٤٠) " القرآن " ض ك .

(٤١) البيضاوى ض ك . ز حجة الوداع : " البيان والتبيين " مصر ١٣١١ ج ٢ ص ١٦ ؛
" العقد الفريد " ج ٢ ص ٨٥ . ومن ذلك المثل السائر : « الناس كأسنان المشط »
(« أى متساوون في النسب ... ») : الميدانى " أمثال " ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٤٢) الترمذى " سنن " " كتاب الزهد " باب ٤٣ . الدارمى " سنن "
" كتاب الرقاق " باب ٢١ .

من حب المرء المالَ والشرفَ ، لدينه « (يريد أن المرء « يتشرف للمباراة والمفاخرة والمساماة »^(٤٣)) .

والمتحصل من هذا أن الإسلام — من حيث مبدأه — لم يكن ليرضى بذلك الشرف الجاهلي ، ولم يكُ ليقم له وزناً^(٤٤) . ولذلك نرى بعض المسلمين يأبون أن يسمّوا بأنَّ الشرف مرجعه إلى صفاء النسب . فهذا البيهقي يقول : « قال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالحسب والنسب ؛ ألا ترى أن أخوين لأبٍّ وأمٍّ يكون أحدهما أشرف من الآخر ؟ ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحد منهما على الآخر فضل ، لأن نسبهما واحد ؛ ولكن ذلك من قبل الأفعال ، لأن الشرف إنما هو فيه لا في النسب »^(٤٥) .

هذا ما جاء به الإسلام . غير أن العرب لم تتحوّل إلا قليلاً عن نحرها بالأنساب^(٤٦) ، والسبب أن عادات الأمم إذا رسخت كان نسخها

(٤٣) " لسان العرب " ج ١١ ص ٧١ س ١٠ ي .

(٤٤) وفي الحديث شاهد هذا : « ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » أبو داود " سنن " كتاب الصلاة " باب ١ . الترمذی " صحيح " كتاب القرآن " باب ١٠ . ابن ماجه " سنن " المقدمة " باب ١٧ . الدارمی " مسند " المقدمة " باب ٣٢ . ز " العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢٠ .

(٤٥) " المحاسن والمساوی " ط Giessen ١٩٠٠ ي ، ص ١٠٦ . ز ابن قتيبة " كتاب العرب " ص ٢٧٩ ؛ " الأملی " ج ٢ ص ٨٣ تحت ، ٨٤ فوق ؛ المتنبي " ديوان " بيروت ١٣٠٥ ص ٥٢٢ ش ٣ — ٦ .

(٤٦) افتخر النبي نفسه بنسبه قال : « أنا ابن عبد المطلب » : البخاری ج ٢ ص ١٦٦ . وقال : « ثم جعلهم بيوتاً فجعلني خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً » : الترمذی " صحيح " كتاب المناقب " باب ١ . ز " العقد الفريد " ج ٢ ص ٤٦ تحت ؛ ابن هشام " السيرة " ج ١ ص ٦٩ ي (ح) .

مطلباً صعباً : ألا تذكر قصة مصاولة العرب للأعاجم وتساميتها على الشعوبية ، محتجةً بأنسابها ، ثم قصة بقاءها على المنافرة والمفاخرة^(٤٧) ، ومدح بعضها بعضاً بالماثر ، وذم بعضها بعضاً بالخازي^(٤٨) ؟ أضف إلى هذا أن طبقة الأشراف لم تزل قائمة^(٤٩) وأن الحديث عن الأشراف ظل سائراً^(٥٠) .

(٤٧) ط " العرض عند عرب الجاهلية " ص ١٨٧ ؛ ن " تكملة دائرة المعارف الإسلامية " ليدن ١٩٣٧ ، مادة " مفاخرة " .

(٤٨) من ذلك بقاء هذا اللون من الذم : « لا أبالك ، لا أم لك » ط مثلاً : " الأغاني " ج ٧ ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٧٠ ج ١٩ ص ٢٢ ، ٣٨ . " عيون الأخبار " ج ٢ ص ٩٠ " العقد الفريد " ج ١ ص ٢٦٧ . وذلك لأن الشرف من طريق النسب كان له شأنه : ط " العقد الفريد " ج ١ ص ١١١ س ١١ تحت ، ١١٣ س ٢ تحت ؛ " الأغاني " ط دار الكتب المصرية مصر ١٩٢٧ ج ١ ص ٢١ ؛ اليعقوبي " تاريخ " ج ٢ ص ٣٩٣ ؛ " الأغاني " ج ١١ ص ٨٦ س ٤ ، ج ١٨ ص ٧١ س ١٣ — اطلب ما تحت : « لا أم لك ، لا أب لك » من الشتيمة في : الميداني " أمثال " ج ٢ ص ١٧٣ : « قال أبو الهيثم : لا أم لك عندنا في مذهب : ليس لك أم حرة ، وهذا هو الشتم الصحيح ... فأما إذا قال : لا أب لك ، فلم يترك له من الشتيمة شيئاً » . وفي " خزنة الأدب " للبغدادى مصر ١٣٤٨ ج ٢ ص ٥٧ غير هذا : « وقوله : لا أب لك ، يستعمل كناية عن المدح والذم . ووجه الأول أن يراد نفي نظير الممدوح بنفى أبيه ، ووجه الثاني أن يراد أنه مجهول النسب » . والرأى المتبادر أن هذا التعبير مما ابتذل على كثرة الاستعمال ، فأضاع قوته ، ومثله كمثل قول العامة عندنا لهذا العهد : « يا ابن الإيه ! » .

(٤٩) « الأشراف والطبقة العالية » : " كتاب التاج " المنسوب إلى الجاحظ ط أحمد زكي ، مصر ١٩١٤ ص ٧٠ ز الكتب التي ألفت في الأشراف لعهد الإسلام : ط البلاذري " أنساب الأشراف " ط Goitein القدس ١٩٣٦ ص ١١ ي من المقدمة الفرنسية . (وكان لهذه الطبقة حقوق وامتيازات) .

(٥٠) مثلاً : « وكان فلان شريفاً (سيداً) » (الأغاني ج ١١ ص ٩٣ ، ١٤٠) . « وكان فلان من أشراف أهل الكوفة » (" الأغاني " ج ١٣ ص ٤٦ ؛ ز ج ٧ ص ١٨٢ ج ١٩ ص ٦٣ ج ٢٠ ص ١٢٧) . « للملوك والأشراف » ، « الشرائف من النساء » (الجاحظ " رسالة القيان " في " ثلاث رسائل " ط فinkel مصر ١٣٤٤ ص ٦١ ، ٥٧) .

إلا أن هذه الطبقة طراً عليها ما لم تعرفه الجاهلية . وذلك أن أهلها كانوا ، أوّل الأمر ، من آباء كرام المنبت (مثل أشراف الجاهلية) ، وفيهم ألفت كتب كثيرة ؛ ثم أطلق اسم الشريف في الإسلام ، بحسب قول السيوطي ، « على كل من كان من أهل البيت ، سواء [أ] كان حسنيّاً أم حسينيّاً أم علويّاً من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب أم جعفريّاً أم عقيليّاً أم عباسيّاً ... فلما ولى الخلافة الفاطميون بمصر قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين ، فاستمر ذلك بمصر إلى الآن » (٥١) .

ونعود هنا إلى المدلول المجازيّ الأول ، وهو الرفعة وما عقبها من السؤدد . وهذا المدلول شائع في تآليف العرب : ففي " كيلة ودمنة " (٥٢) : « وظن أن ذلك نخرله وشرف ورفعة » . ومنه : مقابلة الدنيا بالشريف ، في الكتاب ذاته (٥٣) . ومنه أيضاً قول الأحوص ∆ ٢٠٥ : ما من مصيبةٍ نكبةٍ أرمى بها إلاّ تشرّفني وترفع شاني (٥٤) .

(٥١) " كتاب العجالة الزرنية في السلالة الزينية " ظ " فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار (دار الكتب المصرية) " ج ٥ ص ٢٦٤ (مجاميع) : خ رقم ١٩٤ . لقصة آل البيت ، وانتشار الأشراف ، والكتب المؤلفة فيهم ، ظ حسن النجار " الأشراف " مصر ١٩٣٨ . ولمسئلة نقابة الأشراف وصحتها في الإسلام ولباس الخضره ، ظ محمد إسعاف النشاشيبي " الإسلام الصحيح " القدس ١٣٥٤ ص ٢٩٩ ي ي . ولأنساب الأشراف ، ظ مثلاً : محمد بن أحمد ... النجفي " بحر الأنساب المسمّى بالمشجّر الكشاف لأصول السادة والأشراف ... " ط حسين محمد الرفاعي ، مصر ١٣٥٦ .

(٥٢) بيروت ١٨٩٩ ص ٢٦٥ .

(٥٣) ص ٣٤٧ .

(٥٤) " العقد الفريد " ج ١ ص ١٩٣ .

وفي رواية أخرى : « ... إلّا تعظّمني وترفع شاني »^(٥٥) . وهذا يدل على أن التشريف يفيد التعظيم^(٥٦) . وعلى هذا الوجه فسّر قول بعضهم للمنصور : « ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعني »^(٥٧) ، ثم أدرك ما تحت هذا التعبير : « دار التشريفات الشريفة » و « الخدمة الشريفة الناصرية » ببغداد لعهد الناصر لدين الله^(٥٨) .

فالشرف إذن يفيد الرفعة والسؤدد والعظمة ، ويجاور الفخر على ما جاء قبل في " كليلة ودمنة " وما ورد في " تاريخ " يعقوبى عند الكلام على مساجلات الشعراء في أسواق الجاهليّة^(٥٩) . ويجاور الفضل أيضاً ، قال محمود الوراق :

من شرف الفقر ومن فضله على الغنى إن صح منك النظر...^(٦٠)

ولذلك جعل ابن قتيبة بعض الكلام على الشرف في باب " الكمال والتناهي في السؤدد " من " عيون الأخبار " ^(٦١) . ومما ساقه أن معاوية كتب إلى زياد : « انظر رجلاً يصلح لشغل الهند فوله » ، فعرض زياد

(٥٥) " الأغاني " ج ٤ ص ٤٤ .

(٥٦) يفسر أبو زيد القرشي " جمهرة أشعار العرب " ص ١٣٧ لفظة المعلاة بكسب الشرف ، ولفظة الخطر بالشرف .

(٥٧) " المستطرف " ج ١ ص ١٨٤ .

(٥٨) ابن السامى الخازن ∆ ٦٧٤ " الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير " ط مصطفى جواد وأنستاس مارى الكرملى ، بغداد ١٩٣٤ ج ٩ ص ٢٧٨ ، ٢٨١ .

(٥٩) ج ١ ص ٣٠٤ : « وتجتمع القبائل والعشائر فتسمع شعر (الشاعر) ويجعلون ذلك نغماً من نغم وشرفاً من شرفهم » .

(٦٠) " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٤٩ . ز الجاحظ " الحيوان " ج ١ ص ٣٦١ ؛ " العقد الفريد " ج ١ ص ١١٣ س ٢ تحت .

(٦١) ج ١ ص ٢٢٧ .

الأحنف بن قيس وسنان بن سلمة ، فوجه معاوية سناناً لحقده على الأحنف ، فكتب إليه زياد : « إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسودد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل » . وثمة باب آخر في " عيون الأخبار " عنوانه : " الشرف والسودد بالمال ... " (٦٢) .

وبعد ، فهذه فقرة معترضة ، يجري فيها الحديث على اقتران لفظة الشرف ومشتقاتها بغير العاقل ، في كتب العرب . مثال ذلك باب من " إحياء علوم الدين " للغزالي ، عنوانه : " في العقل وشرفه ... " ، بعد كلام على « شرف العلم » (٦٣) ؛ وقول الماوردي : « فإن شرف المطلوب بشرف نتائجه » (٦٤) . ومثال ذلك أيضاً قول الجاحظ : « فأى صناعة على وجه الأرض أشرف منها (يعنى صناعة الغناء) » (٦٥) ؛ وقول ابن الأثير : « إن علم الحديث والآثار من أشرف العلوم الإسلامية قدراً » (٦٦) ؛ ثم ما جاء في " لسان العرب " عن أحدهم : « أشرف آية في القرآن آية الكرسي » (٦٧) ؛ وما ذكره الميداني : « الفالوذ ... أشرف طعام وقع إليهم » (٦٨) . ومثال ذلك أخيراً ما سطره الجاحظ : « ولو كانت الكتابة

(٦٢) ج ١ ص ٢٣٩ . ثم : « قيل لمعاوية : أخبرنا عنكم وعن بني هاشم ، قال : بنو هاشم أشرف واحدا ونحن أشرف عدداً ... » (" العقد الفريد " ج ٢ ص ٤٦) . ز ما يأتي بعد من الكلام على الشرف والسودد .

(٦٣) مصر ١٣٤٨ ج ١ ص ٧٣ .

(٦٤) " أدب الدنيا والدين " مصر ١٣٣٢ ص ٣ .

(٦٥) " رسالة القيان " ص ٧٥ . ز الجاحظ " نخر السودان ... " في " مجموعة

رسائل " مصر ١٣٢٤ ص ٨٠ س ٨ .

(٦٦) " النهاية في غريب الحديث والأثر " مصر ١٣١١ ج ١ ص ٢ .

(٦٧) ج ١١ ص ٧١ س ٦ .

(٦٨) " أمثال " ج ٢ ص ٧٦ . ز ابن جنى " الخصائص " مصر ١٩١٣ ص ٢٢٣ .

شريفة والخط فضيلة ، كان أحق الخلق بها رسول الله ^(٦٩) ؛ وما دونه ابن خلدون : « اعلم أن فن التاريخ ... شريف الغاية » ^(٧٠) والمبرد ^(٧١) ، وابن جني ^(٧٢) .

وصفة الشريف وما إليها ، فيما تقدم ، تقارب صفة الكريم . شاهد ذلك قول الجاحظ : « في هذه الصناعة (يعنى صناعة الغناء) الكريمة الشريفة » ^(٧٣) ؛ وعلى هذا قول ابن جني : « هذه اللغة الشريفة الكريمة ... » ^(٧٤) .

وعند الفراغ من هذه الفقرة المعترضة ، نعود إلى الكلام على المدلولات المنطوية في لفظة الشرف في الإسلام ؛ فإذا هي ، على حسب ما ولى من التبيين ، رفعة المنزلة والسؤدد والعظمة ، إلى ما يقاربها أو يدخل تحتها ، نحو الفخر والمجد والفضل ^(٧٥) .

- (٦٩) " ذم أخلاق الكتاب " في " ثلاث رسائل " مصر ١٣٤٤ ص ٤١ .
 (٧٠) " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ ص ٩ .
 (٧١) " الكامل " Leipzig ١٨٦٤ ص ٢ .
 (٧٢) " الخصائص " ص ٢٢٥ . أضيف إلى كل ما تقدم القول السائر : « القرآن الشريف ، والحديث الشريف ، والأزهر الشريف » .
 (٧٣) " رسالة القيان " ص ٧٤ . ز " البيان والتبيين " مصر ١٣١١ ج ٢ ص ٨١ س ١٩ ي .
 (٧٤) " الخصائص " ص ٤٥ . ز قول الخرطوبى : « ... إلى أن شرف الله الفتوة وكرّمها » (" تحفة الوصايا " خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ص ١٠٨ ، ظ Taeschner, Futuwwa - Studien مجلة Islamica المجلد ٥ ص ٣١٥) . وكذلك قولنا : « القرآن الكريم » . (وفي التشريف هنا معنى التعظيم أيضاً . ز : « ... شرف العربية وعظمها » : الثعالبي " فقه اللغة " أول المقدمة .)
 (٧٥) قد تقدمت الشواهد على الفخر والفضل . أما المجد ففي " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٤١ : « لا تسأل الناس ما مجدى وما شرفى » . ز " خزنة الأدب " ج ٢ ص ٥٧ ؛ " المصباح المنير " ص ٤٤٩ ؛ " القاموس المحيط " مادة م ج د .

وكأنى بك تقول : هأنت ذا أحصيت مفادات الشرف . فالذى فى الحقيقة أن الشرف من الألفاظ التى قُدِّرَ لها أن تسير فى طريق لا يرى آخره . وأكثر الظن أن الشرف غلب عليه الجانب المعنوى من مدلوله الأول أى غلبة حتى إنه أمسى كلمةً رَمَزاً mot symbole ، أعنى كلمةً متى تقع فى مسمعك تنشر فى خاطرك مجموعة من القيم المجردة . ودليل هذا أن لفظة الشرف اتفق لها أن تنافس مفردات نحو : المروءة والأدب والكرم . قال ابن قتيبة : « فهذا وما أشبهه مزج الأشراف وذوى المروءات »^(٧٦) ؛ وفى " كتاب التاج " المنسوب إلى الجاحظ : « ويخرج بها عن حدّ أهل الأدب والمروءة والشرف »^(٧٧) ، ثم فى " كتاب العرب " أن الشرف ينظر إلى الكرم الذى هو ضد اللؤم^(٧٨) . ومن المعلوم أن المروءة والأدب والكرم ، بمعانيها المطلقة ، تتضمن قيماً أخلاقية كثيرة .

بقى أن تتبين ما يفيد هذا الشرف الذى يقع موقع كلمة رَمَز .
فدونك بعض النصوص :

١ — « فقد هُجُوا (يعنى قبيلة من العرب) بذلك وشرفهم وافر »^(٧٩) .

(٧٦) " أدب الكاتب " مصر ١٣٤٦ ص ١٣ . ز قول الباهلى " الذخائر والأعلاق فى آداب النفوس ومكارم الأخلاق " مصر ١٢٩٨ ص ١٣٦ : « وأسباب المروءة إنما هى مرتبطة بشرف النفس » .

(٧٧) ص ٧٧ . ز " كلىة ودمنة " ص ٢٦٣ : « لا يطمعن ... سىء الآداب فى الشرف ... » .

(٧٨) ص ٢٨١ س ٢٣ ي . ومن ذلك أن الشريف أفاد الكريم إذا وقع صفةً لغير العاقل .

(٧٩) " البيان والتبيين " ج ٢ ص ١٧٠ س ٨ ي .

ب — « ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهداً على مقدار حظهم في الشرف »^(٨٠) .

ح — « ... وقال : هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم ، فلا شرف بعدها »^(٨١) .

وإن سألتني : ما أفهم من الشرف الوارد في هذه النصوص الثلاثة ، قلت : ما تفهم أنت من لفظة الشرف لهذا العهد في مصر خاصة (وضدها العار إذن) . وإذا اعترضت على بقولك : إن لفظة الشرف في تلك النصوص قد وردت قائمة برأسها ، فما من شيء قبلها ولا بعدها يعزز ما تذهب إليه ، فضلاً عن أن السياق لا يمنع الذهن من الانصراف إلى مقصود آخر ؛ جعلت ردى على الاعتراض مصراع بيت لمحمد بن حازم الباهلي من شعراء الدولة العباسية : « ما الفقر عار ولا الغنى شرف »^(٨٢) .
فالمقابلة جليّة : ههنا الشرف ، وهنالك العار .

ولا شك أنّ ما تحت هذا الشرف من المعنى منحدر من المدلول المجازي للشرف الجاهلي ، أعنى الرفعة وعلو المنزلة ؛ وحجتي بيت للمتنبي مشهور :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم^(٨٣)

(٨٠) ذ ض ك س ١٥ .

(٨١) " الأغاني " ج ١٦ ص ٣٠ .

(٨٢) " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٤٦ .

(٨٣) " ديوان " بيروت ١٣٠٥ ص ٦٣٠ . ز بيت له آخر ص ٢٣٨ ، فيه
يحتمل الشرف الرفعة :

إذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم .

وأقرب الظن أنك توافقني على أن الشرف في هذا البيت يقابل العار عند المتنبي؛ فانظر كيف وصفه بالرفعة .

وهنا مطلب جديد : كيف صارت الرفعة إلى اجتناب العار؟ ولعلك تقول : من الأمر الطبيعي أن تنتهي الرفعة إلى طلب التنزه عن الخازي والمعاييب . على أن مثل هذا القول لا ينهض نهضة الدليل المفهم؛ ذلك بأنه يرجع إلى رأى قبلي^(٨٤) ، والآراء القبلية لا يسلم بها المنهج الوضعي . والوجه ، في هذا الموضوع ، أن الرفعة قد يتفق لها على اختلاف الأمم وتباعد الأزمنة أن ترضى بالأمور العائبة ، وربما اقتضتها . وهذه مسألة لو عرضت لها لصرفت هذا المبحث عن غرضه ، فحسبي الإشارة إليها . ولنأخذ الآن في ذلك المطلب الجديد :

قد رأيت أن الرفعة في الجاهلية أفادت علو المنزلة والسيادة من طريق صفاء النسب ، وذلك من باب تقييد المعنى . ثم جاء الإسلام فنصب الحرب للفخر بالآباء ، فخر الشرف — بهذا — مما قيّد به ، من جهة المبدأ على الأقل . فلما صار الشرف طليقاً مع بقائه على مدلوله الأول وهو الرفعة ، انحرف إلى ضم الأخلاق الكريمة . أما قرأت فيما تقدم كلمة البيهقي ، ومجملها : أن الشرف في الأفعال لا في النسب؟ نخذ الآن قول ابن قتيبة : « فذو الهمة تسمو به نفسه إلى معالي الأمور ... ويجوز الشرف لنفسه ولذريته ... إن أولى الأمور بالمرء خصاله

(٨٤) قبلي : نسبة إلى قبل (وبعدي : نسبة إلى بعد) ظ ابن رشد "تهافت التهافت"

ط Bouyges بيروت ١٩٣٠ ص ٢١ س ٧ ، ص ٧٥ س ٦ ، ص ٧٦ س ٩ .

وأما على قلبي فالرأى القبلي يفيد المعنى القائم في الذهن قبل شهادة التجربة

. prénotion (apriori)

في نفسه ، فإن كان شريفاً في نفسه وآباؤه لثام لم يضره ذلك ، وكان الشرف أولى به ، وإن كان لثيماً في نفسه وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك »^(٨٥) .

ومن هنا يتبين أن الشرف في النفس ، وأنه يلمّ — من قبيل التضمّن — تفاريق الأخلاق الكريمة : أمّا أنه في النفس فيؤيد ذلك فصل في " العقد الفريد " عنوانه : " بعد الهمة وشرف النفس " ^(٨٦) . وأمّا أنه يحتل الأخلاق الكريمة فإليك قولاً للحصري يزيد إلى شرف الجاهلية شرف الإسلام : « قد جمع (فلان) شرف الأخلاق إلى كرم الأنساب » ^(٨٧) . وعلى ذلك بيت للبحتري :

تكفّنا عنهم نعمى فتى شرفت أخلاقه وطما بالعرف واديه ^(٨٨) .

وعلى ذلك أيضاً قول الماوردي : « وبعيد أن تسلم إلا لمن كان استكمل شرف الأخلاق طبعاً » ^(٨٩) .

(٨٥) " كتاب العرب " ص ٢٨١ ؛ ثم ص ٢٧٩ : « وعدل القول في الشرف أن الناس لأب وأم ، خلقوا من تراب وأعيدوا إلى التراب ... فهذا نسبهم الأعلى ... وأمّا النسب الأدنى الذي يقع فيه التفاضل بين الناس في حكم الدنيا ... فإن الله خلق آدم من قبضة جميع الأرض ، وفي الأرض السهل والحزت والأحمر والأسود ... (وفي الناس) الشجاع والجبان ، والبخيل والجواد ... » . وهنا يذكر ابن قتيبة تفاوت الناس في شهواتهم وإراداتهم وغرائزهم ، ثم يزيد ص ٢٨١ : « وهذا وأشباهه من لثيم الغرائز كثير في الأمم ، وهذه الطبائع هي أسباب الشرف وأسباب الخمول ، فذو الهمة الخ . » .

(٨٦) ج ١ ص ١٩١ . ز " المستطرف " ج ١ ص ١٨٣ ؛ الباهلي ك ك ص ١٣٦ س ١٩ ي . وفي " أدب الدنيا والدين " ص ٣٢٢ ي : « وأمّا شرف النفس فإنه به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهديب » . ثم يقال : « همة شريفة » (" العقد الفريد " ج ١ ص ١٩١) .

(٨٧) " زهر الآداب " ج ١ ص ١٣٦ .

(٨٨) " ديوان " بيروت ١٩١١ ص ١٧٥ .

(٨٩) " أدب الدنيا والدين " ص ٣٢١ .

وإن سألتني : متى خرج الشرف بهذه المعنوية التامة ؟ قلت : لا أدري ؛ ولكنها نزعات إسلامية تساوقت فأجرت الشرف ذلك المجرى . والتقريب في القول أن الشرف ، بذلك المعنى الخُلُقِيّ ، قديم ؛ ولعله يصعد إلى الجاهلية^(٩٠) ، فلم يُشرق فيها بسبب غلبة الشرف القائم بصفاء النسب ، فضلاً عن أن لفظة العرض كانت يومئذ تقوم مقام مبدأ أخلاقي ضخّم الشأن^(٩١) . وكيفما كانت الحال فهذا نص من قلم الجاحظ : « وهم (يعنى الزنج) شجعاء ، أشداء الأبدان ، أسخياء ، وهذه هي خصال الشرف مع حسن الخلق وقلة الأذى ؛ لا ترى أحدهم أبداً إلا طيب النفس ، ضحوك السن ، حسن الظن ، وهذا هو الشرف »^(٩٢) .

وكأنّ هذا الشرف الطاريء قوى على مدار الزمن واستولى على الأذهان ، بما تضمّن من الأخلاق الكريمة حتى إنه أصبح لفظاً جامعاً لها . فانتهمى به الأمر إلى أن بلغ في عهدنا هذا مرتبة عالية واستوى

(٩٠) أن يكون الرجل كريماً عزيزاً بفعاله لا بأفعال آبائه (أى بحسبه) ، ذلك أمر جرى في الجاهلية ، ظ " الفضليات " ط Lyall بيروت ١٩٣٠ ص ١٠٧ ؛ " العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢٠ تحت ٢٢١ فوق ؛ ثم " لسان العرب " ج ٣ ص ٧٤ س ١٨ : « الخارجى (وهو) الذى يخرج ويشرف (الشرف أى الرفعة) من غير أن يكون له قديم (= عصامي) » .

(٩١) ظ بشر فارس " تكملة دائرة المعارف الإسلامية " ليدن ١٩٣٦ مادة " عرض " . (ترى بعد كيف صارت لفظة العرض مقصورة على عفة المرأة في سورية وشرقي الأردن ومصر .)

(٩٢) " نخر السودان ... " في " مجموعة رسائل " ص ٦٤ .

بين الكلم الروامز . وكلنا يعرف بالبصيرة والسليقة ما تحت كلمة الشرف السائرة في مصر ثم في نجد وشرق الأردن وسورية (٩٣) .

ومن ذلك الشرف هذا اللون من الحلف : « وشرفي ، وشرفك » ؛ ومن ذلك قولنا في مصر : « ردّ شرف » للتعبير عما يقال له في لغة أهل القانون : « تعويض الضرر الأدبي » dommages et intérêts moraux (٩٤) .

ولهذا الشرف عندنا معنى آخر خاص ، ينبسط على ما يتصل بعفة المرأة . وهو ينافس إذن لفظة العرض ، بمعناها المستحدث في سورية وشرق الأردن حتى في مصر . ونتيجة هذا التنافس أنك تقرأ في صفحنا الخبر الواحد هكذا : في " المقطم " (٩٥) : يقتل فلان أخته طعناً بالسكين « دفاعاً عن الشرف » وفي " الأهرام " (٩٦) : « في سبيل العرض » يحضر فلان من السويس سيراً على الأقدام ، ويقتل شقيقته لسوء سلوكها .

وإلى جانب المعنى الأول العام للشرف عندنا ، وهو السائد ، ثم المعنى الثاني الخاص ، وهو في طور الاستواء ، ترى مدلولات للشرف تنجذب إلى المدلولات القديمة ؛ منها : « التشریف الملكي ، التشريفات ، التشريفاتي » (٩٧) ، والمقصود : التعظيم والتكريم . ومنها : « الأشراف »

(٩٣) ظ " العرض عند عرب الجاهلية " ص ٣٣ . وأما في الجزائر، فيقال : « ريف ، حُرمة »

ظ R. Maunier, *Introduction à la Sociologie*, Paris 1929 ص ٢١ .

(٩٤) يَسَّر لي النص القانوني الدكتور حامد زكي ، أستاذ القانون المدني في كلية الحقوق لجامعة فؤاد الأول .

(٩٥) ١٩٣٨/٩/١٧ ص ٨ . ز ذ ١٩٣٧/٩/٣٠ ؛ " البلاغ " ١٩٣٧/٤/٢٣

(٩٦) ١٩٣٨/٩/١٨ ص ١١ .

(٩٧) ولفظة « التشريفاتي » (وصيغتها تركية) تطلق على القائم بنظام التشريفات maître des cérémonies ؛ والتشريفات خاصة بأداب الدخول على السلطان في الموعد

وقد قُصر مؤدى هذه الكلمة ، فى مصر على الأقل ، على الجماعة المعروفة ، ولها نقابتها^(٩٨) .

هذا وقد هجم على الشرف ، بمعناه العام عندنا ، مدلولات لا عهد للغتنا بها ، من جانب اللفظة الإفرنجية *honneur, honneur* . من ذلك : « شرف المهنة » *honneur professionnel* ، و « وصائف الشرف » *(فى حفلات الزفاف عند المسيحيين)*^(٩٩) *demoiselles d'honneur, maids of* *honour* ، و « شهادة كذا بدرجة شرف » *avec mention honorable* ، و « رئيس شرف » و « لجنة شرف » *président, comité d'honneur, (honorary president...)* . وقد يتلطف أهل سورية فيقولون : « أدب الرجل مأدبة على شرف فلان » *en l'honneur d'un tel, in honour of so and so* والمقصود : إكراماً له .

المضروب للمثول بين يديه *cérémonial* ، ط " ترجمان اللغات " القسطنطينية ١٢٨٨ ج ١ ص ٢١٦ ي . ومن ذلك قول الترك : « تشريفاتى ديوان هايون (=الديوان الأكبر) ، تشريفاتى صدارت عظمى (=الصدر الأعظم) » ، ط : ش . سامى " قاموس تركى " القسطنطينية ١٣١٧ . وتستعمل اليوم فى مصر لفظة « الأمين » *chambellan* إلى جانب لفظة « التشريفاتى » و « سكرتير التشريفات » فى القصر الملكى .
(٩٨) للأشراف فى الحجاز مثلاً ، ط أمين الريحانى " ملوك العرب " ١٩٢٩ ج ١ ص ٢٢ ؛ حافظ وهبه " جزيرة العرب فى القرن العشرين " مصر ١٩٣٥ ص ١٦٢ ي ، ١٦٦ ي . وللأشراف المعاصرين فى البلدان الإسلامية ، ط حسين محمد الرفاعى " كتاب الوصاف المبين فى طبقات ومناقب آل البيت الأشراف المعاصرين " مصر (١٩٣٧) .
وأما طبقة الأشراف بمعنى الطبقة العالية فقد حل محلها « الخاصة والطبقة الراقية » لأن المفروض أن نظامنا الاجتماعى قوامه المساواة ؛ فلا شريف ولا وضيع ولا نسب ضخيم ولا نسب ضئيل . (اذكر أن العرب لهذا العهد يستعملون كلمة « الشيخ » للرؤساء والأعيان .)
(٩٩) مجلة " المصور " مصر ١٩٣٨ العدد ٧١٧ ص ١٦ تحت . و « وصيفات الشرف » (لجلالة الملكة) *dames d'honneur (de la reine)* : " الأهرام " ١٩٣٩/٣/١ ص ١٠١

وهناك تعابير داخلية في أدب المحاطبة ، لها ما يسوّغها في فصيح كلام العرب ؛ إلا أنها إفرنجية حرفاً لحرف . منها : « أتشرف (أو : لى الشرف) بأن كذا وكذا » *j'ai l'honneur de..., I have the honour to...* ومن المأثور عن الفصيح : « شرفه الله تشريفاً ، وتشرف بكذا أى عدّه شريفاً » (١٠٠) .

ومما يذكر على سبيل التنبيه أننا نقول : « الدكتوراه الفخرية » (١٠١) ، ونريد بالفخرية التعبير اللاتيني *honoris causa* (أى : لأجل الشرف) . فتأمل كيف عبرنا عن تلك اللفظة هنالك بالشرف وهنا بالفخر . وعندى أنه لا غرابة في ذلك ، وقد تقدم في هذا المبحث أن الفخر جاء في أساليب البلغاء مجاوراً للشرف . فالذى ارتجل تعبير : « الدكتوراه الفخرية » أراد الشرف وقلمه منصرف إلى لفظة تجاورها في اللغة (١٠٢) .

تلك قصة لفظة الشرف . ولا أقول تاريخها ، إذ لم أستوعب كل شيء : ألم ترني أهملت ذكر ورود هذه اللفظة ومشتقاتها أسماء أعلام ؟ أضف إلى هذا أنى لم أتعبها خطوة خطوة ، ولم أطلبها في آثار القوم على استقصاء . ولو فعلت لانتشر هذا المبحث في سفر كامل .

(١٠٠) " لسان العرب " ج ١١ ص ٧١ س ١١ . أما قولنا : « اتفضل شرفنا » فقد ابشذل فيه معنى التشريف لكثرة الاستعمال ، خفف وقعه (usure sémantique) بحيث دل على الزيارة فقط .

(١٠١) مجلة " الرسالة " مصر ١٩٣٩ السنة ٧ العدد ٢٩٥ ص ٤٢٣ . " الأهرام " ١٩٣٩/٢/٢٤ ص ٨ . " المقطم " ١٩٣٩/٢/٢٥ ص ٦ .

(١٠٢) فائدة — لا يزال المدلول الحسنى الأول للفظ الشرف ، وهو الارتفاع ، مستعملاً لهذا العهد في مثل قولنا : « مشرفة » لما يبرز من المنازل لأجل الإطلال *balcon* (مثلاً " الأهرام " ١٩٣٩/٣/٣ ص ٦) . والشرفة ، في صحيح العربية : « ما يوضع على أعلى القصور والمدن » ظ . " مجلة مجمع اللغة العربية الملكية " مصر ١٩٣٥ ج ٢ ص ٨٧ ، ز قبل (ح) ٣٦ — ومما نستعمل من باب المجاز : « فلان يشرف على عمل كذا » . ز في القديم : " حماسة أبى تمام " مصر ١٣٤٦ ج ٢ ص ٦ ، ٢٦ .

بقى أن هذا المبحث لا يتم فائدته إلا إذا تأملته من جانبين : الأول لغوى ، وهو يلحق بفن النقل ، والمراد انتقال معنى اللفظ من موضع إلى موضع ؛ والثانى اجتماعى ، وهو يدخل فى علم الوقائع الخلقية .

أما الجانب الأول ، فجملة القول أنك رأيت كيف خرجت لفظة الشرف فى الجاهلية من الحسّ إلى المعنى ، فأفادت ، أصلاً ، رفعة المنزلة على العموم ، ثم السيادة من قبيل إطلاق العام على الخاص ؛ ورأيت بعد هذا أنها استلزمت صفاء النسب من باب التقييد ، فمالت عن معناها المجازى الأصيل ، وهو رفعة المنزلة ، لتساير لفظة الحسب . حتى إذا طلع الإسلام رجّعها إلى الرفعة ، لنسخه الفخر بالآباء . ولكن طائفة من المسلمين عادوا إلى الشرف بذلك المعنى المقيد ، ليدلوا به على الانتساب إلى الرسول ، فضلاً عن أن الأشراف ، أى أصحاب الأنساب الراسخة فى العشائر والقبائل ، بقوا بالفعل *en acte* مدةً على ما كانوا عليه فى الجاهلية . وما زال المعنى الأصيل والمعنى المقيد فى مغالبة ، حتى فاز الأول بفضل السنّة الإسلامية وبنصرة طائفة من الكتاب المسلمين . فلم يبطئ أن يجذب إلى مضمونه مجموعة من القيم الأخلاقية ، حتى صار كلمةً رمزاً ، لها قوتها ولها جاهها *prestige* . فخل بهذا محل لفظة العرض الجاهلية . والذى أعانه على ذلك أن العرض كان خاصاً بالنظام الاجتماعى قبل الإسلام ، فأصبح معه كأنه شىء قائم لغير أوانه ، على حسب ما بينت فى مبحث آخر^(١٠٣) . وعلى هذا الوجه انتهى الشرف إلى أيماننا هذه ، وقد أضاف إلى قيمه قima آخر تطرّقت إليه من ناحية الغرب .

وأما الجانب الثانى ، وهو الداخلى فى علم الوقائع الخلقية ، فحديثه مساقاةً إلى ما وراء هذا المبحث من مسائل فلسفية ، نخرج بها عن المقصود الأوّل .

بعض الاصطلاحات *

١ - في اصطلاحات الموسيقى

المساوقة و المراسلة

إن عند الإفرنج اصطلاحاً موسيقياً هو لفظة *accompagnement* في الفرنسية و *accompaniment* في الإنجليزية و *Begleitung* في الألمانية . وهذه اللفظة تفيد متابعة الغناء بالآلة أو بالصوت ، على غير تفريق . ومكاتها في المواضع الموسيقية في المحل الأول عند القوم أو عندنا . واللغة العربية لهذا العهد يُعوزها ما يُعبر عن هذه اللفظة .

والتحقيق أن للعرب لفظين في هذا الموطن ، لا لفظاً واحداً ؛ أحدهما يدل على متابعة الغناء بالآلة ، والآخر على متابعته بالصوت .

أما اللفظ الأول ، فهو : المساوقة ، وهي متابعة الغناء بالآلة :

قال ابن خلدون (بعد ما تكلم على تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسبٍ منتظمة معروفة) : « ... وقد يساوق

* نشر هذا البحث مختصراً في " مجلة مجمع اللغة العربية الملكي " مصر ١٩٣٥ ج ١ ، السنة ١٩٣٤ ، ص ٣٩٤ — ٣٩٩ . (وقد أضيف إليه هنا بعض الحواشي .)

ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجمادات ،
إما بالقرع أو بالنفخ في الآلات تُتخذ لذلك ... » (وهذا ذكر
الآلات ووصفها)^(١) .

وبعد ، فدعني أصرح بأني لما عثرت على هذا النص ، عمدت إلى
كتب اللغة^(٢) ، أستفسرها المساوقة ؛ فلم أصبها بالمعنى الذي أورده به
ابن خلدون .

ولعلّ المساوقة في الموسيقى مأخوذة من اصطلاح الفقهاء ، أو لعلّ الأمر بضدّ
ذلك . قال صاحب " المصباح المنير " ^(٣) : « والفقهاء يقولون تساوقت
الخطبتان ، ويريدون المقارنة والمعيّة ، وهو ما إذا وقعتا معاً ولم تسبق
إحدهما الأخرى . ولم أجده في كتب اللغة بهذا المعنى » .

وكيفما كانت الحال فأى شيء يحظر إيراد لفظ المساوقة بمعنى
accompagnement ، من قبيل الجاز ؟ فالمساوقة ، في اللغة : المتابعة ،
وتساوقت الإبل : تتابعت ، كأنّ بعضها يسوق بعضاً^(٤) .

وأما اللفظ الآخر ، فهو : المراسلة ، وهي : متابعة الغناء بالصوت .
قال صاحب " المصباح المنير " ^(٥) : « تراسل الناس في الغناء إذا اجتمعوا

(١) " مقدمة " مستهلّ فصل " في صناعة الغناء " (بيروت ١٩٠٠ ص ٤٢٣) .

(٢) وفي جملتها " المخصص " لابن سيده .

(٣) مصر ١٩١٢ ص ٤٥٢ ي — وأما الفلاسفة ، فالمساوقة عندهم « تستعمل فيما
يعمّ الاتحاد في المفهوم » : أبو البقاء " الكليات " مصر ١٢٨١ ص ٣٤٥ س ١٠ .
ز التهانوي " كشف اصطلاحات الفنون " كلكتة ١٨٦٢ ج ١ ص ٦٨٤ .

(٤) " تاج العروس " ج ٦ ص ٣٨٩ فوق . " أساس البلاغة " مصر ١٩٢٣

ج ١ ص ٤٦٨ .

(٥) ص ٣٤٧ ي .

عليه ، يبتدئ هذا ويمدُّ صوته فيضيق عن زمن الإيقاع فيسكت ويأخذ غيره في مدِّ الصوت ويرجع الأول إلى النغم ، وهكذا حتى ينتهي . قال ابن الأعرابي : والعرب تسمى المراسل في الغناء والعمل : المتالي ؛ يقال راسله في عمله : إذا تابعه فيه ، فهو رسيل ؛ ولا ترأسل في الأذان ، أى لا متابعة فيه ، والمعنى لا اجتماع فيه . ومن هذا قول " تاج العروس " ^(٦) فيما استدرك : « وهو رسيه في الغناء ونحوه ، وراسله الغناء : باراه في إرساله ... » . ولا يسبقنَّ إلى الظن أن المراسلة في الغناء من الترسل في القراءة أو الترسيل فيها ^(٧) ، فإنما هي من المراسلة بمعناها المشهور في قولهم : « تراسل القوم أى أرسل بعضهم إلى بعض رسولاً أو رسالة » ^(٨) .

هذا ومما قدّمنا أن ابن الأعرابي يقول : « والعرب تسمى المراسل في الغناء والعمل : المتالي » . والظاهر أن المتالي أخص من المراسل ؛ وشاهد هذا : « والمتالي الذي يرسل المغنى بصوت رفيع ؛ قال الأخطل : صلت الجبين كأن رجع صهيله زجر المحاول أو غناء متالي » ^(٩) .

فالمثالة — إذن — مراسلة الغناء « بصوت رفيع » ، وكأنّها مأخوذة من متابعة القارئ ؛ قال صاحب " أساس البلاغة " ^(١٠) : « تلازيد (أى قرأ) وعمرو يتاليه ؛ وهو رسيه ومتاليه » .

والخلاصة أن المساوقة متابعة الغناء بالآلة ، على حين أن المراسلة متابعة الغناء بالصوت . وأما المثالة فهي نوع من المراسلة .

(٦) ج ٧ ص ٣٤٥ س ١١ تحت .

(٧) وهما الاشتاد فيها . وكأن اشتقاقهما من الرسل . وقيل الترسيل في القراءة : الترثيل .

(٨) هذا رأى صاحب " المصباح المنير " ض ك .

(٩) " المصباح " مصر ١٢٨٢ ج ٢ ص ٤٥١ .

(١٠) ج ١ ص ٨٢ .

٢ — في اصطلاحات الفلسفة

التفرد و التماسك

إنى أعرض لفظة : التفرد ، بدلاً من لفظة : الفردية ، الجارية على أقلام الكتاب لهذا العهد ، للتعبير بها عما يقال له في الفرنسية *individualisme* والإنجليزية *individualism* والألمانية *Individualismus* . ثم إنى أعرض لفظة : التماسك ، عوضاً من لفظة : التضامن ، الشائعة عند كتابنا ، للتعبير بها عما يقال له في تلك اللغات : *solidarité, solidarity, Solidaritaet* .

والتفرد أن يهمل الرجل جماعته ، قبيلةً كانت أو أمةً ، بأن ينقبض عنها فيجعل همه نفسه . وأما التماسك ، فأن يكون بين رجال الجماعة الواحدة التئام وتساير وتعاون ، بحيث يكونون من الجماعة بمكانة الأجزاء من الكل .

على أنى أعلم أن كلا هذين التعريفين غير وافٍ . فإن لكل من التفرد والتماسك خمسة مدلولات . وقد بسطها جميعاً الأستاذ لالند *LALANDE* في " المعجم الاصطلاحي والنقدى للفلسفة " ^(١) . إلا أنى وقفت عند التعريف الخاص بعلم الاجتماع .

إنى أعدل عن لفظة الفردية إلى التفرد ، إذ الوجه — بحسب ما يبدو لى — أن الفردية تفيد ما يقال له عند الفرنجة *individualité* ، ومثلها كمثل لفظة الشخصية *personnalité* ، *individuality, Individualitaet* ، وبيان ذلك أننا إذا نظرنا إلى الفردية *personality, Persoenlichheit* .

(١) *Vocabulaire technique et critique de la Philosophie*, Paris 1932, articles : *Individualisme, Solidarité*

والتفرد من جهة الفلسفة والبناء اللغويّ جميعاً ، تبين لنا أن صيغة لفظة الفردية تحتل الانفعال *passivité* ^(٢) ، أعنى أنها تفيد الحالية . وهي توافق — من هذا الباب — كلمة *individualité* ^(٣) . وأما صيغة لفظة التفرد فهي فعالة *forme active* ^(٤) ، من حيث إنها تدل على النشاط *dynamisme* . وهي توافق — من هذا الباب — كلمة *individualisme* ^(٥) .

(٢) للوقوف على لفظي « الفعل » و « الانفعال » ارجع إلى أبي البقاء « الكليات » ص ٢٧٣ س ١٥ — ١٨ : « والفعل التأثير وإيجاد الأثر ، والانفعال التأثير وقبول الأثر ... » . ثم اذكر أن فلاسفة العرب قالوا : « يفعل وينفعل » في ترجمة المقولتين التاسعة والعاشر من المقولات العشر أو « القاطاغوريات » *les catégories* (لأرسطوطاليس) ، ط ابن رشد " تلخيص كتاب المقولات " ط Bouyges بيروت ١٩٣٢ ص ٧٤ — ٩٠ ، القسم الرابع والخامس ؛ ففي هذين القسمين ترد « الكيفيات الانفعالية » بمعنى *qualités passives* . ز الخوارزمي " مفاتيح العلوم " مصر ١٣٤٢ ص ٨٧ ي : « والمقولة التاسعة مقولة ينفعل ، والانفعال هو قبول أثر المؤثر . والمقولة العاشرة مقولة يفعل وهو التأثير في الشيء الذي يقبل الأثر مثل التسخين ، والانفعال مثل التسخن وكالقطع والاقطاع » . ويعزز هذا الجرجاني صاحب " التعريفات " مصر ١٢٨٣ ص ٢٦ : « الانفعال وأن ينفعل هما الهيئتان الحاصلتان للمتأثر عن غيره بسبب التأثير أولاً كالهئية الحاصلة للمقطع ما دام منقطعاً » . ثم ارجع بعد هذا كله إلى لاند ك ج ٢ ص ٥٦٣ ، العمود الثاني ، المدلول الأول و ص ٥٦٥ ، العمود الثاني *critique* لتبين أن مؤدّي لفظة *passivité* المستعملة اليوم بدلا من لفظة *passion* يطابق مؤدّي لفظة : الانفعالية ، الواردة هنا .

(٣) هذه الكلمة تدل على الكيفية : ارجع إلى لاند ك ج ١ ص ٣٦٨ .

(٤) اذكر « العقل الفعّال » *intellect actif* في الفلسفة الإسلامية الجارية مجرى فلسفة أرسطوطاليس . واذكر خاصة فصلا للفارابي عنوانه : " مقالة في معاني العقل " في " المجموع " مصر ١٩٠٧ ص ٥٤ . ز بين هذا الفصل والفصل الخامس من الكتاب الثالث من " النفس " *De Anima* لأرسطوطاليس .

(٥) هذه الكلمة تدل على الميل والاتجاه *tendance* ، ارجع إلى لاند ك ج ١ ص ٣٦٧ ، التعريف الخامس خاصة ؛ وهو التعريف الذي استندت إليه قبل .

ثم إنني أعدل عن لفظة التضامن إلى التماسك ، لا لأن بعضهم أنكر ورودها في متن اللغة ، فإن سبيل الاشتقاق ميسور للسالك ؛ ولكن لأن الضمان في اللغة يفيد الكفالة ، ومنه : « في الحديث : من مات في سبيل الله فهو ضامن على الله أن يدخله الجنة »^(٦) .

وكأن الذين استعملوا لفظة التضامن بمعنى التماسك أخذوها عن أهل القانون . وذلك أن التضامن — فيما اصطلح عليه القوم — يحتمل معنى الكفالة وما وراءها من التبعية . ولقد أصاب أهل القانون عندنا في استعمال لفظة التضامن ، ألا تراها تؤدي ما تحت لفظة solidarité عند أهل القانون في فرنسة مثلاً ؟ غير أن لفظة solidarité — في مصطلح الفلسفة — لا ينحصر مفادها في الكفالة (والتبعية) ، بل ينبسط على ما تقدم في مستهل هذا المبحث .

ومن هنا ترى أن الذين يعالجون الفلسفة ، عندنا ، اقتبسوا لفظة التضامن من اصطلاح علماء القانون ، على نحو ما صنع الفرنجة كما جاء في "معجم" لالند ؛ وبهذا جعلوا اللفظة مشتركة من حيث لا يشعرون . ومن يقول إنه ينبغي لنا أن ننحو في هذا المطلب نحو الإفرنج ؟ فإن تواضعنا على استعمال لفظة التضامن في لغة القانون ، فليس ثمة ما يضطرنا إلى أن نستعملها في لغة الفلسفة ، ولا سيما

(٦) "لسان العرب" ج ١٧ ص ١٢٦ س ٧ . ظ أيضاً : مسلم " صحيح " مصر ١٣٣٤ ج ٦ ص ٣٣ (" كتاب الإمارة " باب فضل الجهاد) : « تضمن الله لمن خرج في سبيله ... فهو على ضامن أن أدخله الجنة ... » . ز أحمد بن حنبل " مسند " مصر ١٣١٣ ج ٢ ص ٢٣١ ، ٣٨٤ . ثم لترادف هذين الفعلين : تضمن وتكفل ، ظ هذا الحديث الآخر : « تكفل الله لمن جاهد في سبيله ... بأن يدخله الجنة ... » (مسلم ك ك ج ٦ ص ٣٤) .

أن لفظة التماسك لدينا ، وهى مما تواتر من فصيح الكلام . ولقد
اهتديت إليها يوم تهيأ لى أن أقع على هذا المثل : « إن مع الكثرة
تخاذلاً ، ومع القلة تماسكاً » ^(٧) :

والتماسك ضد التفكك ^(٨) والاسترخاء ^(٩) . وبهذا يدل على المتانة .
ومنه : « هذا حائط لا يماسك ولا يتمالك » ^(١٠) . والشاهد أن : مسك
بالشئ وتمسك وامسك واستمسك تأتى بمعنى اعتصم به وتعلق ^(١١) .
وهل يُعتصم إلا بالشئ المتين ؟ ولولا أن يكون الأمر هكذا ما جاء فى
القرآن : « فاستمسك بالذى أوحى إليك » ^(١٢) ثم : « فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » ^(١٣) .

هذا وإن طلبنا أصل لفظة solidarité الفرنسية (وعليها تقاس
الإنجليزية والألمانية) أصبناه فى لفظة solide . وإنما solide تعدل كلمة
متين . وقد رأيت فى مقدمة هذا المبحث أن تماسك الجماعة لا ينهض
إلا على انعقاد أفرادها ؛ وفى الانعقاد متانة .

(٧) الميدانى " أمثال " مصر ١٣٤٢ ج ١ ص ٥٤ .

(٨) " أساس البلاغة " ج ٢ ص ٣٨٦ ، العمود الأول تحت .

(٩) " لسان العرب " ج ١٢ ص ٣٧٧ تحت .

(١٠) " أساس البلاغة " ض ك .

(١١) " المصباح المنير " ٨٨٤ .

(١٢) سو ٤٣ آ ٤٣ .

(١٣) سو ٢ آ ٢٥٥ . ز سو ٣١ آ ٢٢ .

بعض المخطوطات العربية

(لاستخراج مصطلحات مختلفة)

في خريف سنة ١٩٣٤ بحثت في دار الكتب الوطنية في باريس
Biobliothèque Nationale عن المخطوطات العربية التي تبذل لنا
ما يعزّز أوضاع لغتنا أو يزيد في متنها .

وكانت عنايتي منصرفة إلى أمر المصطلحات الفنيّة والعلميّة .
فوقع إلى نوعان من المخطوطات ، الأول : أن تنطوى المخطوطة على
المصطلحات مرتبةً نحو انطواء المعجم على مفردات اللغة . وأما الثاني :
فأن تجرى المصطلحات في ثنايا المخطوطة متفرقةً . ومما لا يقرب
منه الشك أن مخطوطات النوع الأول أدنى منالاً وأتم فائدة ،
إذ تسوق إليك الألفاظ متتاليةً معرّفةً ، على حين أن مخطوطات
النوع الثاني همّها الإفاضة في فن من الفنون باستعمال مصطلحات عليك
استخراجها فتعريفها .

وإلى جانب هذه المخطوطات أصبت طائفة أخرى في اللغة واللهجات .
بقي أن أقول إنى أنظر هنا فى المخطوطات التى لها شأن والتى لم تطبع
بعد ، ولربما فاتتنى أشياء فى هذا الباب ^(١) .

معجمات المصطلحات

١ — " التوقيف على مهمات التعاريف " لعبد الرؤوف محمد ... المناوى
△ ١٠٣١ . رقم ٤٢٦٢ ؛ ١٩٠ ورقة . (ظ بروكلىن ١ ج ٢
ص ٢١٦ ، ٣٠٧ ؛ بروكلىن ٢ ج ٢ ص ٤١٧ .)

قال المؤلف فى المقدمة : « فقد وقفت على كتاب لبعض المتقدمين
ملقب بالذريعة إلى معرفة ما اصطلحت عليه الشريعة ، ذكر فيه
تعاريف الألفاظ المتداولة على السنة حملة الشريعة المحتاج إليها

(١) إنى لا أذكر قياس المخطوطة ولا أطب فى وصفها ولا أنعرض لمؤلفها ولا
كاتبها ولا تاريخها ولا نوع خطها ، إلا عند الحاجة ؛ وذلك لأنك تجد كل
هذا وما يتصل به فى " فهرس " (دى سلان) *de Slane, Catalogue des*
manuscripts arabes, Paris 1883-95 ثم فى " فهرس " (بلوشيه) *Bloch*
Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisitions,
Paris 1925 . وأرقام المخطوطات فى هذا المبحث هى التى فى ذيلك الفهرسين
(ولا سيما الأول ، وآخر أرقامه ٤٦٦٥) . ثم إنى رأيت أن أرجع القارئ
إلى " تاريخ الآداب العربية " لبروكلىن *Brockelmann, G. A. L.* للمعارضة
والوقوف على نسخ أخرى للمخطوطة وعلى ما كتب فى شأنها . أما الطبعة
الأولى من " تاريخ الآداب العربية " المذكور (سنة ١٨٩٨ يى)
فقد دلت عليها بقولى : بروكلىن ١ ؛ وأما " تكملة " هذا الكتاب
(سنة ١٩٣٧ يى) *Suppl.* فقد دلت عليها بقولى : بروكلىن ٢ .

في العلوم الشرعية الثلاثة ولا يستغنى مفسر ولا محدث ولا فقيه
عن معرفتها . ورأيت المولى العديم المثال الجرجاني قد انتقى من
ذلك الكتاب تعريفات واصطلاحات ولم يستوعبه ولكن زاد
من غيره قليلا . وألفت الإمام الراغب ألف كتاباً في تحقيق
مفردات ألفاظ القرآن فجمعت زُبد هذه الكتب الثلاثة
ووشحتها بفوايد اقتنصتها من قاموس كتب غير مشهورة لا يطلع
عليها كل أحد » .

المصطلحات مرتبة على حروف الهجاء . ولم أجد اسم المؤلف في فاتحة الكتاب
ولا خاتمه . إلا أني قرأت على الورقة الأولى : « توقيف لناوى » . وتحت هذا العنوان
« الفهرست » . والمصطلحات ذات شأن (٢) .

٢ — "كتاب السمات في أسماء النبات" لعز الدين أبي إسحق إبراهيم
ابن محمد بن طرخان بن السويدي الأنصاري Δ ٦٩٠ .
رقم ٣٠٠٤ ؛ ٣٠٧ ورقة . (ظ بروكلمن ١ ج ١ ص ٤٩٣ .)

الأسماء مرتبة على الأبجدية . وبعض الألفاظ نظائرُها في اللاتينية واليونانية والبربرية .
والخطوطة من خط المؤلف نفسه . وقد زاد عليها وحذف منها . إلا أن الورقة
الأولى والأخيرة مفقودتان .

٣ — غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد
لعبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين
الحدادي المناوي الشافعي (وهو المذكور قبل رقم ١) .

(٢) والمؤلف نفسه معجم آخر نفيس عنوانه : "مقاليد العلوم في الحدود والرسوم"،
وهو يعرف مصطلحات ٢١ فنا (ظ بروكلمن ١ ج ٢ ص ٢١٦) .

رقم ٢٧٦٨ (و ٢٧٦٩ ، نسخة أخرى) ؛ ١٤٠ ورقة .
(ظ بروكلن ١ ج ٢ ص ٣٠٧ .)

هو معجم للعلوم المذكورة ، مرتب على حروف الهجاء ، بخط ابن المؤلف ، مع
تعليقات للمؤلف نفسه .

المخطوطات التي منها تستخرج المصطلحات

١ — " المقترح في المصطلح " لمحمد بن إسماعيل (بن) وداعة المعروف
بإبن البقال ∆ ٥٦٧ .

رقم ٤٦٣٩ ؛ من الورقة ٤ إلى الورقة ٣٨ . (ظ بروكلن
٢ ج ١ ص ٩٠٥ .)

في هذا الكتاب إثبات الألفاظ المستعملة في « رمى البندق » (٣) .

٢ — " مطالع العلوم (ومواقع النجوم ؟) " لمحمد أمين بن خير الله
الخطيب العمري ∆ ١٢٠٣ (٤) .
رقم ٢٣٣٩ ؛ ٢٠٥ ورقة .

هو دائرة معارف فيها من كل علم طرف (نحو وصرف وبلاغة ومنطق وجدل
وكلام وفقه وطبيعة وإلهيات وفلك وهندسة وهيئة وموسيقى) . إلا أن الخط قبيح .

٣ — " كتاب الخزون ، جامع الفنون " لابن أخى خزام ∆ (؟)
رقم ٢٨٢٤ ؛ ٩٠ ورقة (و ٢٨٢٦ ، الجزء الثالث) .

(٣) وهو خلاف " المقترح في المصطلح " لابن منصور محمد البروى ∆ ٥٦٨ (خ
في مصطلحات الجدل . ظ بروكلن ١ ج ١ ص ٤٦٠) .

(٤) ليس على المخطوطة اسم مؤلف . ولعله ذلك الذى دوتته (ز بروكلن ١ ج ٢
ص ٣٧٤ ، بروكلن ٢ ج ٢ ص ٥٠١) .

نسخ هذا الكتاب سنة ٨٧٥ لأحد من خاصة الممالك (قايت باي ؟) ، وموضوعه .
فن الحرب ، وفيه مصطلحات كثيرة وتزاويق وأشكال . وبعض أوراقه مفقودة .
وفي : بروكلن ١ ج ١ ص ٤٣٢ ي أن هذا الكتاب المخطوط — وعنوانه " معرفة
الرمي بالنشاب وآلات الحرب وأنواع وجوه الرمي وكيفيات شروطه وأحواله " — من
تأليف ناصر الدين أبي عبد الله ... يعقوب بن إسحاق بن أخى حزام من المئة الثالثة .

٤ — " حاوى اللباب من علم الحساب " لتقى الدين بن عز الدين
الحنبللى ∆ ٨١٢ .

رقم ٢٤٦٩ ؛ ٤٣ ورقة . (ظ بروكلن ٢ ج ٢ ص ١٥٦ .)

٥ — " الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية " لصفى الدين عبد المؤمن
ابن فاخر الأرموى ∆ ٦٩٣ .

رقم ٢٤٧٩ ؛ ٥٦ ورقة . (ظ بروكلن ٢ ج ٢ ص ٩٠٧ .)

هو كتاب فى الموسيقى جدّ نفيس . وقد نقل إلى اللغة الفرنسية على يد : البارون
ديرلانجى d'ERLANGER ونشر فى باريس سنة ١٩٣٨ فى مجموعة *La Musique Arabe* .

فى اللغة

١ — " كتاب فيه جميع مختصر العين " لمحمد بن حسن الزبيدى ∆ ٣٧٩ .

رقم ٥٣٤٧ و ٥٣٩١ (نسختان) ؛ الأولى ٣٩٦ ورقة ،

والثانية ١٤٩ ورقة . (ظ بروكلن ١ ج ١ ص ١٠٠ .)

و « العين » هنا " كتاب العين " للخليل بن أحمد ∆ ١٧٥ (٥) .

(٥) وقيل لليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراسانى ، وكان تلميذاً للخليل

(ظ أنستاس مارى الكرملى " نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها ")

مصر ١٩٣٨ ص ١٨٨ .)

٢ — "الإقليد في شرح الفصل" لأحمد بن محمود عمر الجندی
الأندلسي من المئة الثامنة .

رقم ٤٠٠٣ ؛ ٢٠٢ ورقة . (ظ بروكلن ٢ ج ١ ص ٩١٠) .
و « الفصل » هنا "كتاب الفصل" للزخشرى ∆ ٥٣٨ .

في اللهجات

١ — "الدستور في اللغة" لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم بن أحمد
النطنزي ∆ ٤٩٩ (وقيل ٤٩٧) .

رقم ٤٢٨٦ ؛ ١٤٩ ورقة . (ظ بروكلن ١ ج ١ ص ٢٨٨ ،
بروكلن ٢ ج ١ ص ٥٠٥) .

هو معجم للألفاظ العربية الفصيحة مع تفسير لها في الفارسية و « العربية السائرة » .
إلا أن بعض صفحات المخطوطة غير سليمة .

٢ — "معجم فرنسي مع ما يرادف ألفاظه في اللغة العامية السورية
(الحلبية خاصة)" لميشيل أ. أ. ليرو MICHEL A. A. LE ROUX
رقم ٤٣٥٤ ؛ ٧٣٦ صفحة^(٦) . وتاريخ المخطوط سنة ١٧٣٨
المسيحية وهو من خط المؤلف .

(٦) في كل صفحة ثلاثة أعمدة : الأول للفظ الفرنسية ، والثاني للعربية ، والثالث
لرسم اللفظة العربية بالحروف الفرنسية .

ذيل

تلك هي بعض المخطوطات التي انتهت إلى في دار الكتب الوطنية في باريس . وهناك مخطوطات أخر أصبتها في دار الكتب الوطنية في برلين Preussische Staatsbibliothek ، سنة ١٩٣٥ . إلا أنني أعجلت عن إيفائها حقها من البحث والمراجعة . وإني ذاكر لك بعضها على سبيل التمثيل^(٧) .

في مصطلحات الفلسفة

١ — " كتاب الجدال " تأليف الشيخ الإمام العالم ... شرف الإسلام شرف الدين أبي عبد الله بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدسي الحنبلي △ بعد ٦٣٠ .

رقم ٥٣١٩ ؛ من الورقة ١٧ إلى الورقة ٣٢ م . (ظ بروكlyn ١ ج ١ ص ٣٩٨ ، بروكlyn ٢ ج ١ ص ٦٩٠) .

٢ — " كتاب الحدود " تأليف الشيخ الإمام العالم ... شهاب الدين أحمد الشهير بابن الجندی من المئة الثامنة أو التاسعة (؟) .
رقم ٥٣٧٧ ؛ من الورقة ١٤٩ إلى الورقة ١٥٦^(٨) .

هذه النسخة ، على ما يظهر ، غير تامة : الكلام ينقطع في منتصف ص ١٤٦ من دون خاتمة (وقفة كاتب) .

(٧) أرقام المخطوطات هي التي في : آفرت " فهرس المخطوطات العربية ... "

. Ahlwardt, Arab. Hss.

(٨) هذان المخطوطان لدى مصوِّرين .

في مصطلحات الموسيقى

١ — "رسالة في السماع والرقص والصراخ واستماع إنشاد الشعر وغيره"
للشيخ تقي الدين (أحمد بن تيمية) △ ٧٢٨ — رقم ٥٥٠٧ ؛
من الورقة ٤١ إلى الورقة ٥٢ .

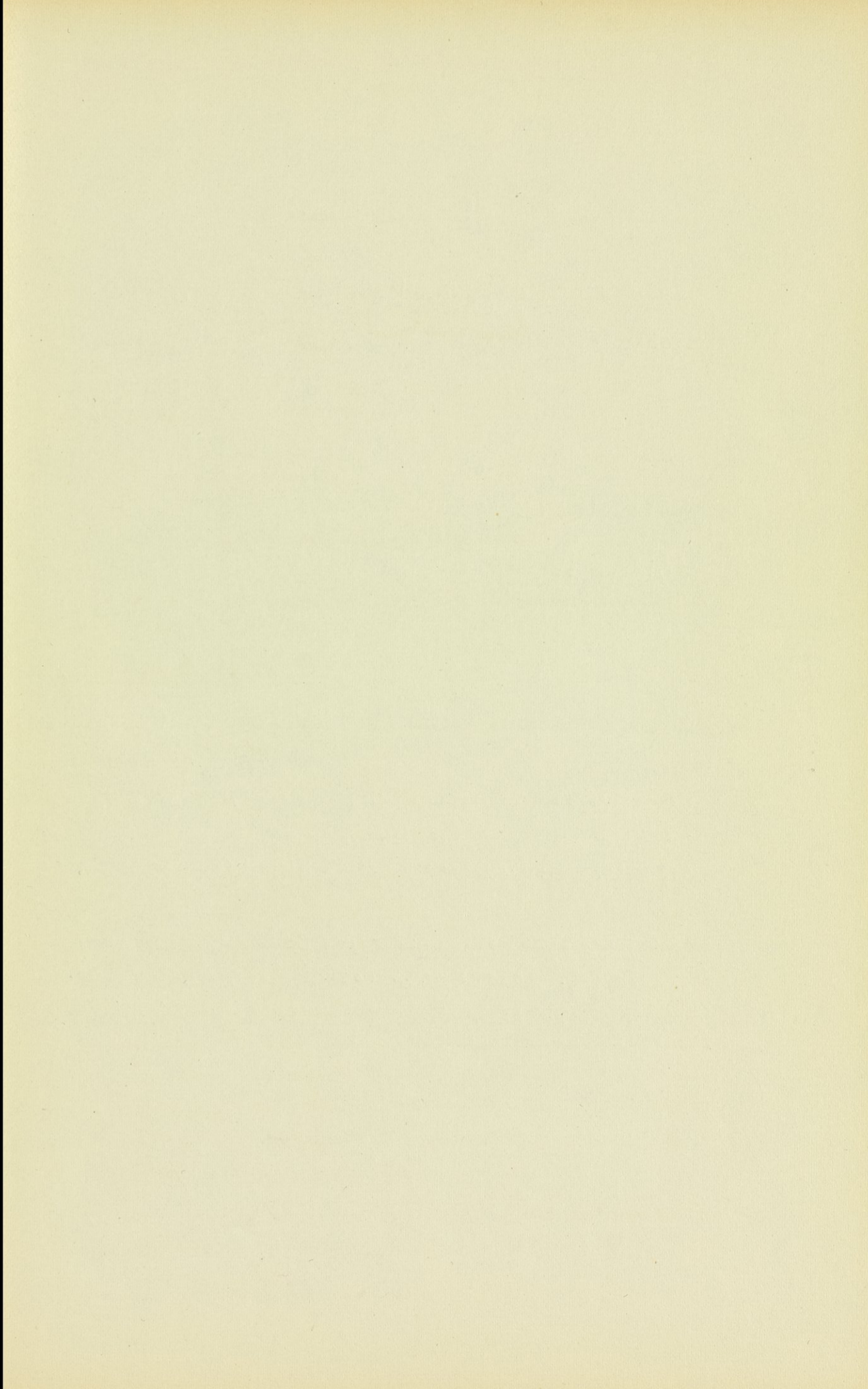
٢ — "كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع" لابن حبر الهيثمي
المكي △ ٩٧٣ — رقم ٥٥١٧ ؛ من الورقة الأولى إلى الورقة ٤١ .

٣ — "كتاب في أدوار الإيقاع" لمجهول — رقم ٥٥٣٢ ؛ من الورقة
١٦٣ إلى الورقة ١٦٩ .

نظرت في هذه المخطوطات نظرة المطلع لا نظرة النقيب . وفائدة هذه المخطوطات أنها
تثبت مصطلحات وتذكر أسماء آلات :

أما المصطلحات فمثل « المعازف » أى « آلات الطرب » (رقم ٥٥٠٧ ص ٥٢ م) ،
و « مجرد الغناء » أى : الغناء من غير مساوقة بالآلة (رقم ٥٥١٧ ص ٤ م) .
و « السد » (جمع « سدود ») أى : النغمة ، نحو « عشاق » و « نوى » (رقم ٥٥٣٢
ص ١٦٧) .

وأما أسماء الآلات فمثل « الصفاقتين » و « الصنج » و « الجنك » و « الكمنجة »
و « السنطير » و « الدريج » (رقم ٥٥١٧ ص ١٩ ، ٢٣ ي) .
كل ذلك فضلا عما في هذه المخطوطات من الفائدة الموسيقية الصرفة .



لَحَقَ الكِتَاب

١ - المسارد *

١ - مسرد المخطوطات

ب - مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة

ح - مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة لغير اللغة العربية

٢ - المستدرك

١ - المضاف

ب - الفائت

* أستعمل لفظة « المسرد » (والجمع « مسارد ») إزاء كلمة index, register بدلاً من لفظة « الفهرس » السائرة على أقلام العلماء في مصر والشرق العربي، لسببين : الأول ، أن الفهرس هو « الكتاب الذي تجمع فيه الكتب » (" لسان العرب " ج ٨ ص ٤٨) ، فينظر إذن إلى لفظة catalogue . وأما السبب الثاني فأن الفهرس أصبح من الألفاظ المشتركة ، إذ يستعمل الآن للدلالة على الكتاب الجامع للكتب ، وعلى مشتمل الكتاب أى مضمونه وموضوعاته Inhalt, contents, table des matières ، ثم على جداول الألفاظ والأسماء وما إليها . وترانى أستعمل في هذا الكتاب لفظة « الفهرس » للمدلول الأول ، ولفظة « المشتمل » للمدلول الثاني ، ثم لفظة « المسرد » للمدلول الثالث .

و « المسرد في اللغة : مقدمة شيء إلى شيء تأتى به متسقاً بعضه في إثر بعض متتابعاً » (" لسان العرب " ج ٤ ص ١٩٥) .

المسارد :

١ - مسرد المخطوطات

- ١ - أثبت هنا المخطوطات المستند إليها في مختلف المباحث ما عدا البحث الثامن : " بعض المخطوطات العربية " ، وذلك لأن المخطوطات المدرجة فيه قريبة المنال بما هو عليه من الترتيب مع قلة الصفحات .
- ٢ - الإشارة الأولى بالرقين الكبير والصغير (رقم الصفحة فرقم السطر) ترجع إلى الموضع الذى فيه وصف المخطوط . وسائر الإشارات ترجع إلى المواضع التى ذكر فيها .
- ٣ - دونك مسردين : الأول لأسمى المخطوطات ، والثانى لأسماء المؤلفين . وقد رتبت أسمى المخطوطات على حروف المعجم ورقمتها على التتالى من ١ إلى ١٩ . ثم رتبت أسماء المؤلفين على حروف المعجم أيضاً ؛ إلا أن الأرقام التى تسبقها إنما ترجع إلى أرقام أسمى المخطوطات ، مثلاً : « ابن أبى الدنيا ٩ » = هذا مؤلف المخطوط رقم ٩ وعنوانه : " مكارم الأخلاق " .

أسمى المخطوطات

للسمعاني	" أدب الإملاء والاستملاء "	١
	ص ٤٢ س ١٧	
للمجهول	" رسالة فى خلق الإنسان "	٢
	٢٣-٨ ٢٧-٢٤ ٤٥ ١٨	
للسيوطى	" العجالة الزرنبية فى السلالة الزينية " (١)	٣
	١٥-١٤ ١٠٤	

(١) هذا المخطوط موجود فى غير دار الكتب المصرية ، ظ بروكلن " تاريخ الآداب العربية " G.A.L. ج ٢ ص ١٥٠ ، ك ك " تكملة " Suppl. ج ٢ ص ١٨٦ (رقم ١١١) .

٤	"كتاب الفتوة"	للأردبيلي	١٠-٩٥٩	٢٢-٢٠	١٦-١٥٦٠	٢٢-١٥٦٦	١٤٧٠
٥	"كتاب الفتوة"	للسلمي	١٦-١٤٥١	٨-٧٣٩	٦-٥٥١		
٦	"فصل في المروّة"	لمجهول	١١٥٩	١٨-١٧٦٠	٢١-١٩	٢٦-٢١٦٢	
٧	"مرآة المروّات" (٢)	لابن جعدويه	٨-٦٥٩	٢٠-١٤	٢٥٤٢	١١-١٠٥٠	١٤-١٣
			٢٦٦	١٣	٥٧٠	١٢	٢٦-٢٣
٨	"مكارم الأخلاق"	لمجهول	٢٤-٢١٣٣				
٩	"مكارم الأخلاق"	لابن أبي الدنيا	٣٠-٢٧٣٢	٧٣٩	١٣-١٠٤٠	١٥٤٢	٢٤
			٣-٢٤٦	٥٦٦			١٨-١١٤٤
١٠	"مكارم الأخلاق"	للطبراني	٦-٤٣٣	١٧-١٦٤٢			
١١	"مكارم الأخلاق"	للتيسابوري	٢٨-٢٥٣٣				
١٢	"مكارم الأخلاق"	لابن الصباغ	٢٨-٢٦٣٣				
١٣	"مكارم الأخلاق"	لابن حبيب	٨-٦٣٤				
١٤	"مكارم الأخلاق"	لابن عبد الرحمن	١٣-١١٣٤				

- ١٥ "مكارم الأخلاق ومذامم الأخلاق" للبرقي
١٠-٩٣٤
- ١٦ "مكارم الأخلاق وطيب الأعراق" (٣) لابن بنين
١٣-١٢٣٤
- ١٧ "مكارم الأخلاق والسياسة" للتستري
١٤-١٠٣٣ ١٤-١١٤٧ ٣١-٥٤٨ ٩٥١ ظ بعد "المضاف".
- ١٨ "مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدائع الأوصاف وغرائب التشبيهات" لمجهول (٤)
٢٠-١٥٣٣ ٢١-١٩٤٠ ٢٣٤٢ ٤-٢٥١ ١٣-١٢٥٩
٢١-١٨٦٠ ١٩-١٨٦١ ٢٧-٢٦٦٦
- ١٩ "مكارم الخلاق لأهل مكارم الأخلاق" لابن كنان الدمشقي
١١-٩٤٩ ٩-٢٣٣

(٥) أسماء المؤلفين

١٥	البرقي	٩	ابن أبي الدنيا
١٧	التستري	١٦	ابن بنين
٥	السلمي	٧	ابن جعدويه
١	السمعاني	١٣	ابن حبيب
٣	السيوطي	١٢	ابن الصباغ
١٠	الطبراني	١٤	ابن عبد الرحمن
١١	النيسابوري	١٩	ابن كنان الدمشقي
		٤	الأردبيلي

(٣) المخطوطات رقم ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦ مفقودة كما تقدم ص ٣٣ ي .

(٤) تقدم أني نشرت المخطوط رقم ٦ وبعض المخطوطين رقم ٤ و ١٨ .

(٥) وهي مختصرة ، وتجدها كاملة في المراجع - ظ أيضاً "الفائت" .

ب - مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة

الرقم الكبير يشير إلى الصفحة ، والصغير إلى السطر . وإذا كثرت ورود الكلمة
أشرت إلى أول موضع ترد فيه ثم أضفت : كثيرا ، والمراد : كثيرا ما ترد .

الإلزامات ٨٧٢	ابتذال اللفظ ص ٦٢ س.
الآهيات ٢١٠	... المعنى ١١٥-١٦-١٧
الأمثال العالية ١٧١٢	الإبدال ١٠١٥
الإمداد ١٣٩٣ ، ١٣١	الاتحاد (في المفهوم) ١٩١١٨
الأمر الكلية العامة ١١٣	الاتساع في القول ٩٣٦
الأمين ١٦١١٤	الاحتمال ٧٥٧ ، ٩٤ ، ٦٩٥
الانفعال ١٨ ١٦ ١٥ ٨ ٧١٢١	احتمال المعنى ٢١٢١ ٣-٢١٠٠
الانفعالية ٢٢١٢١	الأخلاق (العالم) ، الأخلاقيون ٧٤٧
أن يفعل ١٨١٢١	كثيرا
أهل اللسان ٣-٢١٦	الأخلاقيات (علم) ٣٣٦ كثيرا
الأوضاع العربية ٩١٥	الأخلاقيات التقليدية ٣٣١
الايقاع ١١١٩	... العملية ٦٠٤٨
	... النظرية ٩٦٨
بذاتها ومن ذاتها ٨٩١	الأخلاقية (صفة) ٣٣٤ كثيرا
البسيط ١٤١٢	الاستطلاع ٧
البصيرة ١١١٣ ، ٧٥٧	الاستغراق ٢٧٢
بَعْدَى (نسبة إلى بعد) ١٩١١٠	الاستلزام ٧١١٦
بالفعل ١٢١١٦ ، ٢٩١ ، ٦٨	الاشتباه ٢٨٧
بالقوة ٢٩١	إطلاق العام على الخاص ١٩٧ ، ١١١٦
بما هو ... هي ٧١ ، ٧٤	اعتبار الوقائع ٢١٧٣

التعريف الحقيقي ٧٦٠	البناء الاجتماعي ٢٨٥ كثيرا
تعويض الضرر الأدبي ١١٣٥	البناء اللغوي ١٢١
التعيين ١٦٥٤	
التفرد ٢٧٥ ٢١٢٠ كثيرا	التبعية ٧٨٢ ١٠ ٧١٢٢
التقريب ٧٥٧	التجريد ٦٦٢ ٦٩
تقطيع الأصوات ١١٧٤	التحريف ١٠١٥
التقليد، التقاليد ١٧٥٦ ٦٥٥ ١٤٩٠	التحقيق ١٢١٢
التقليدية (صفة) ٣١	التحكم ١٥٩٤
تقييد المعنى ٩٨ ١٢١١٠ ٧١١٦	التحليل النظري ٨٤٨
التلحين ١١١٧ ١١١٨	التحول ٢٩٥
التماسك ٢٧٥ ٢١٢٠ كثيرا	التخصيص ١٦٥٤ ٦٦١
التماسك الحسي ٣٨٢ ١٣٨٠	التخيّل ١٣١٢ ٥٧٢ ٨٧٣
التماسك المعنوي ١٠٧٦ ٨٧٧ ١٠٧٩	التدبير ١٧٤٨ ٢٤
التمييز ٧٦٠	التدليل ٣٦
التناقض ٦٥	الترادف ١٠٠ ٢١٢٢، المترادف ٢٨٩
تهذيب الأخلاق ٣٣٦-٣	الترتيل ١١٩٢
التواتر ١٢٣	الترسل، الترسيل ٧١١٩ ٨ ٢٠
التوسّع في القول ٦٢٥	التشريفات ١٠٥ ٤١١٣
	التشريفاتي ١٥١١٣ ٢٢ كثيرا
الثأر الانفعالي ٨٢ ٣٨٣	التشجيع للآراء ١٣
الثأر الفعّال ٨٢ ٣٨٣	التضامن ١٢٢ كثيرا
	التعاون ٢٢٤٨ ١٠١٢٠
الجاه ١٣٩٠ ١٦١١٦	التعريف، التعريفات ٣٦٠ ٥٨ ٦
الحال الناشطة ١٠٠	كثيرا
	التعريف بمحض الذات ١٥٥٤ (١)

الذاتية (إطلاقاً) ١٣١٢ ذاتي (أصل) ٧٥٤

ردّ شرف ١١٣

الرياضات النفسانية ١٤٥٤

السلوك ٥٦ ١٠٦٧

السياسة ١٢٤٧ ١٧٤٨

سياسة النفس ٤٩

الشخصية ١٨١٢٠

شرف المهنة ١١٤

(على) شرف فلان ١٠١١٤

الشيخ ٢٢١١٤

الصفات اللازمة ١١-١٠٧٥

(جملة) صلات اجتماعية ٦٧٦

الضمان ٣١٢٢

العام (إطلاقاً) ١٥١٢

العرض ١٣٥٣ كثيراً

العشير ١١٧٦

العصبية ٨٤

العقل الفعال ٢٤١٢١

علم الاجتماع ١٥١٢٠

علم الأخلاق ٢٣٦

علم السلوك النظري ٣-٢٥٤

الحال الواقعة ١٠٠

الحالية ٢١٢١

الحدّ ١٥٩٤

الحدس ١٠٦٨

الحديث : علتة ، ضعفه ؛ صحيح ،

موضوع ؛ متصل ، منقطع ؛

منقول على طريقة كذا ١٠-٦٤١

حُرمة ١٦١١٣

الحسيّات ٩٥

الحقيقة ٩٥ ٩٦

الحكمة الخلقية ٣٣٦ ٢٦٩

الحكمة الخلقية النظرية ١٩٤٧

الخارجي ١٧١١٢

الخاص (إطلاقاً) ١٥١٢

الخاصة (الألفاظ) ٩١٦ كثيراً

الخاصية المجردة ١١٧١

الخلق (المعنى ، الواقعة ، العادة)

٢١ ٣١١٦ ٢٥٦ ٣١١٢

١٤٧٣ كثيراً (٢)

الخواص ١٧٨٩

درجة شرف ٧١١٤

الذات ظ : بذات ، التعريف بمحض

الذات ، من ذات

(٢) لفظة « الخلق » تتصل بالموءى اللغوى ، ولفظة « الأخلاق » بمادة الأخلاقيات أو علم الأخلاق .

القوى الناطقة ٨٤٨ ٣١
 القِيم ٦٥٤ ٦٥٥ ١٦ ١٧ ٢٧٢
 ... الأخلاقية ١٥١١٦
 ... المجردة ٧٧٣ ١٠٨
 الكتب المعتمدة ٢٤٣
 الكفالة ٣١٢٢ ١٠ ٧
 الكلامية ١٤٨
 كلمة رمز ٣٥٧ ٧٣٥ ٦ ١٠٨ ١٣
 ١٥١١٦
 الكلم الروامز ١٢٧١ ١١١٣
 الكم ٦٨٧
 كيف ٦٨٧
 الكيفية ٢٦٠ ٢٣١٢١
 الكيفيات الانفعالية ١٣١٢١
 اللبس ٨٩ ، المتلبس ٩٣ ٦
 لحق الكتاب ١٣٣
 اللدونة ١٨٥٤ ، لدن ٦٣١
 اللطافة ١٨٥٤
 ما ظ : بما
 المبدأ (إطلاقاً) ٢٨٣٤ ٣١٠٢ ١٤١١٠
 مبدأ اجتماعي ٦٧٣
 ... أخلاقي ٦١١٢
 ... دفع جذب الملايم ١٣٤٨
 ... دفع المنافر ١١٤٨
 ... الفكر ١٠٤٨

علم الكلام ٨٦٨
 علم الوقائع الخلقية ٢٥٦
 العلم الوضعي ٢٠٧٣
 العناصر الأصلية ١٥٤٨
 العنصر اللازم ١٧-١٦٥٦
 الغالب (المدلول) ٢١٠١
 الفائت ١٣٣ ١٤٨
 الفائض ٨٥٤
 الفتوة ٣١ ٦٥٠ ٥١ ٦ ٨ ٩ ١١
 ٢٥٢ ٣ ٤ ٧٠ ٥ ٧١ ٨ ٦
 الفردية ٣١٢٠ كثيرا
 الفرض ١٢١٢
 الفروسيّة ١٥٢
 الفعل ١٢١
 الفعل ١٢١ ٨ ظ : بالفعل
 الفهرس ١٨-٩١٣٣
 الفهم ١٣٧٣
 القاطاغوريّات ١١١٢١
 قبلي (رأى) ٢١٣ ٦١١٠ ١٩ ٢١
 القبول ٩١٢١ ٢٢١١١
 القرع ٢١١٨
 القوانين الكلية ٢٨٤٨
 قوى النفس ٨٤٨ ظ : بالقوة
 القوى الشهوانية ٩٤٨
 القوى الغضبية ٩-٨٤٨

المساوقة ١١٧ ء كثيرا
 المسرد ٢١٣٣ ٢٠-٩ ء كثيرا
 المسلمات ١٤١٢
 المشاهدة ١٢١٢
 المشترك (اللفظ) ١٤١٢٢ ١٣١٣٣
 المشتمل ٧ ١٨-٩١٣٣
 المضاف ١٣٣ ١٤٥
 المعارضة ١٦٥٥
 المعنوية (إطلاقاً) ٦٥ ٦٧ ١١٢
 المعنويات ٩٥
 المعية ٩١١٨
 المفردة ٢٧١ ١٣ ٦١٠٨
 المفهوم ٩١١٨
 المقابلة ٧٢ ٩٨ ١٠١ ١٢١٠٩
 المقارنة ٩١١٨
 «المقامات والأحوال» ٨٤٩
 المقبولات ١٤١٢
 المقولة ، المقولات ١٠١٢١ ١٥
 المقيّد (المعنى) ١٠١١٦ ١٣
 الملموس ٧٦ ء
 المماثلة ٧٣ ء
 من ذى نفسه ٢٧٧
 من الخارج ٨٩ ١٥
 المنطق ٢١٠
 المنهج الوضعي ١١٠-٧

... معنوى ٧٢
 المبذول (إطلاقاً) ١٢٧٣ ، مبذول
 (أصل) ٧٥٤ (واقعة) ٣٥٦
 المتالاة ١٤١١٩ ، المتالى ٣١١٩ كثيرا
 المتعارف ٢٠٦٢
 المتكلم ، المتكلمون ٢١٥٤ ٦٤٧
 المتمكن فى الواقع ١٨٧٣
 المتميّز ١٨٩
 المتوهّم (المعنى) ٢٠٧٣
 المجاز ٦٢ كثيرا
 المجاورة ٦١٠٥ ٨ ١٠١١٥ ١١
 المجانسة ١٨٨٩ ٢٠ ٢١٩٠
 المجرّد ١١٣
 المحسّ ١٢٥٦
 المحسوسات ١٧١٢
 مدّ الصوت ٢١١٩
 المدرك : الأخلاقى ٢٧١ ، العام ٨٧٤
 ، الملتبس ٥٩٣ ٦
 المراسلة ١١٧ ء كثيرا ، المراسل
 ٣١١٩ كثيرا
 المترجّل (الرأى) ٢١٣ كثيرا
 المركّب ١٤١٢
 المسالك الوضعية ١١٠
 المسانيد ٤٢ ء ١٥٤٣ ٥٣

المواضعات ١١٧ ^٨	... الخارجى ٦٤٢
الموضوعية (إطلاقاً) ١٣١٢، موضوعى	النقل ٧٣، ١١٦
(أصل) ٧٥٤ (بحث) ٧٧٤	نقل الحروف ١٧١٥
نسب منتظمة ١٤١١٧	نيف ١٦١١٣
نسبى ٦٥٠	الواقعة ، الوقعات ٩٥٢ كثيرا
النظر (إطلاقاً) ١٤٧٣...المجرد ١١٥٦	... الخلقية المحسنة ٥٦ ١١-١٢
النظرى ٣٥٤-٣٦٨	وصائف الشرف ١١٤
النغم الحادى ٣٩، ٢٤١	وصيفات ... ٢٤١١٤
النفخ (فى الآلات) ٢١١٨	الوضعى ٥٦، ١١٠-٨
النفس الشهوانية ٢٢-٢١٤٧	الوهم ١٠٦٨، ١٨٧٣
النفس الفضيحة ٢٢٤٧	يفعل ٩١٢١ ١٥
النفس الناطقة ٢١٤٧	ينفعل ٩١٢١ ١٥
النقد الباطنى ٧٤٢	

تنبيه — أغفلتُ الألفاظ الخاصة بلغة القانون ، الجارية فى البحث الأول : " مسلمون فى فنلندة " ، لشيوعها ، ثم المصطلحات الواردة فى البحث الثامن : " بعض المخطوطات العربية " ، لاتصالها بهذه المخطوطات وحدها ، ثم الألفاظ والتعبيرات العامية ، لقلتها . الكثير من هذه الاصطلاحات والألفاظ الخاصة مما وُضعت أو مما تخيرت . والقليل منها وارد فى النصوص المقتبسة . وبالمراجعة يتميز هذا من ذلك .

ح - مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة

لغير اللغة العربية

(e) = الكلمة إنجليزية . (d) = الكلمة ألمانية . والكلمة المرسومة بالحرف المائل : لاتينية . وسائر الكلمات : فرنسية أو مشتركة .

accompagnement	417, 418	délicatesse	54
accompagnement (e)	417	demoiselles d'honneur	114
acte, en	91, 116	distinctes (agglomérations)	89
a priori	110	dommages et intérêts moraux	113
arbitrairement	46	donné, le	73
Begleitung (d)	117	dynamisme	121
bonnes mœurs	38	éminentes vertus	38
catégories	121	enquête	7
cérémonial	114	en tant que	71
chambellan	114	entendement	73
chevalerie	52, 71	entr'aide	48
citation	18	espèce humaine	48
communication	31	état dynamique	100
concept confus	93	état statique	100
contents (e)	133	ethics (e)	36
contribute	76	Ethik (d)	36
critique externe	42	éthique	36
critique interne	42	éthologue	56
dames d'honneur	114	fait	52, 56
définition essentielle	54	forme active	121
définition réelle	60	homogénéité	89
degree with honours (e)	114	honneur professionnel	114
dehors, du	89	honoris causa	115

index	133	personality (e)	120
individualism (e)	120	prénotion	110
individualisme	120, 121	prestige	116
Individualismus (d)	120	puissance, en	91
Individualitaet (d)	120	qualités passives	121
individualité	120, 121	quotation (e)	18
individuality (e)	120	rapports sociaux, une somme de	76
Inhalt (d)	133	Register (d)	133
inquiry (e)	7	restriction, par voie de	97
intellect actif	121	science des faits moraux	56
Leitmotiv (d,...)	39	Sittenlehre (d)	36
lois universelles	48	soi, en soi et par soi	91
maids of honour	114	Solidaritaet (d)	120
maître des cérémonies	113	solidarité	120, 122, 123
mention honorable, avec	114	solidarity (e)	120
morale	36, 56	souplesse	54
moralité	56	subjectives (valeurs)	54
morphologie sociale	86	table des matières	133
mot symbole	73, 108	technical (e)	16
notion éthique	71	technique	16
objectives (valeurs)	54	tendance	121
obligations	72	tradition	56
particular (e)	16	transliteration (e,...)	15
passion	121	typique	16
passivité	121	usure sémantique	115
Persoenlichkeit (d)	120	valeurs	54
personnalité	120	virtus	72

المستدرك :

١ - المضاف

ص ٣٣ (ح) ٩ : أرشدني المستشرق الدكتور مايرهوف إلى تاريخ وفاة التستري ، وهو : محمد بن أحمد بن عثمان التستري (الأصل) المدني أبو عبد الله شمس الدين Δ ٧٨٥ (ظ العسقلاني " الدرر الكامنة ... " حيدرآباد الدكن ١٣٤٩ ج ٣ ص ٣٣٨ ؛ ابن العماد " شذرات الذهب ... " مصر ١٣٥١ ج ٦ ص ٢٨٨ ي) . واطلع الدكتور شخّت ، أستاذ اللغات السامية في كلية الآداب لجامعة فؤاد الأول ، على كتاب " مكارم الأخلاق والسياسة " للتستري (وهو مخطوط) بعد نشرى مبحث " مكارم الأخلاق " بالفرنسية في رومة كما تقدم (ص ٣١) . فأخبرني قال : « إن الذي في رأيي : ١ - الشك في أن عنوان الكتاب : " مكارم الأخلاق والسياسة " ، وإن أثبت كذلك في صدر النسختين . والسبب أن كاتب النسخة رقم ١٣٥٣ قال في خاتمة الكتاب : تم كتاب مكارم الأخلاق والسياسة والزهد وما أشبه ذلك ... ٢ - الشك في أن الكتاب للتستري ، وإن أثبت اسمه في صدر النسختين . والسبب أن التستري ذكر في ص ٢ من النسخة رقم ٩٩٤ و ص ٢ م من النسخة رقم ١٣٥٣ على أنه صاحب " كتاب الأخلاق " . ٣ - الظاهر أن الكتاب تصنيف وجمع ، إذ فيه فصول من " كتاب الأخلاق " للتستري و " وبداية الهداية " للغزالي و " سراج الملوك " للطرطوشي . » وبعد ، فسواء كان العنوان هذا أو غير هذا ، وسواء كان التستري صاحب المخطوط أو غيره ، فالحديث الذي استخرجته من " مكارم الأخلاق والسياسة " إنما هو مثبت في المخطوط .

ص ٣٤ س ٣٠ : ظ أيضاً : محمد صفى الدين الحسيني العاملي " مناهل الأشواق في العقل والعلم ومكارم الأخلاق " صيدا ١٩٣٢ . وفي هذا الكتاب أن المظهر الخاص بالإنسان هو مكارم الأخلاق ، و « للدين الاسلامي قانون أساسى هو أساس مكارم الأخلاق » (ص ٣٢ ي) .

ص ٤٧ (ح) ٤٦ : أيضاً : يحيى بن عدى (وهو مسيحي ٣٦٤
أو ٣٦٣) " تهذيب الأخلاق " مصر ١٩١٣ ص ١١ س ٧ ؛ ز ص ٤٨ س ١٣ .
ص ٦٧ (ح) ٣٨ : وتجد بيت بشار في : النويرى " نهاية الأرب ... "
مصر ١٩٢٤ ج ٣ ص ٨٠ . ٦ (ح) ٣٩ : و " الأدب الكبير " الإسكندرية
١٩١٢ ص ١٢ . ٦ (ح) ٤٠ : ز " الأدب الصغير " في " رسائل البلغاء "
مصر ١٩١٣ ص ٥٣ : « والرجل الذى لا مروءة له يهان » . ٦ (ح) ٤١ :
ز ذ رواية " رسائل البلغاء " ص ١٠٥ : « رقة شأن وخفة منزلة » .

ص ٦٨ (ح) ٤٣ : ز ابن منقذ " لباب الآداب " ط أحمد محمد شاكر
مصر ١٩٣٥ ص ٢٢٨ ، ٢٣٤ : « اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة » ،
« ولا مروءة لمن لا أدب له » .

ص ٦٩ (ح) ٥١ ، ٥٠ : ز " الكنز المدفون والفلك المشحون " مصر ١٢٨٨ ص ٦٥ .
ص ٧٢ س ١ : (... والفتوة) والدين والعقل : ظ " الأدب الكبير "
في " رسائل البلغاء " ص ٦٠ س ٨ ، ص ٧٥ س ٤ ، ص ١٠٥ س ١٣ ؛
ابن خلدون " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ ص ٣٠٥ ؛ أيضاً قبل ص ٦٥ س ١١ .
ثم ظ " الأدب الصغير " في " رسائل البلغاء " ص ٥١ س ١٧ ، ز ص ٤٥ س ١١ ؛
" مرآة المروءات " الباب الخامس ؛ أيضاً قبل ص ٦٦ س ١ . ٦ (ح)
٦٧ : ظ ، حديثاً ، Ph. Hitti, History of the Arabs, London 1937
ص ٢٥ ، ٩٥ خاصة .

ص ٧٧ س ١٠ : ز بيت البراق في " شعراء النصرانية " ص ١٤١ ، ش ٤ .
ص ٧٩ س ٩ : ... وتمسكهم بها وانجذابهم إليها : ظ أبيات البراق
في " شعراء النصرانية " ص ١٤٢ ، ش ١ — ٣ . ز ، عند عرب اليوم ،
قول البدوى : « كل عشيرة تشاطر أفرادها الفرح والترح » (" خمسة
أعوام في شرق الأردن " ص ١١١ فوق) . ٦ (ح) ٢١ : وعند قبيلة
« الرولة » في شمال الجزيرة لهذا العهد ، كل الحى " « يطرد وينطرد »
(أى : أنه مجتمع على الهجوم والدفاع) : ظ Musil, The Manners
and Customs of the Rwala Bedouins, New York 1928 ص ٤٨٩ .

(لقييلة « الرولة » ، في اللغة العربية ، ظ الريحاني " ملوك العرب " بيروت ١٩٢٩ ج ٢ ص ٥٥ س ١٠ ي ، ص ٥٦ س ٣ ي .)

ص ٨١ س ١٢ : ز قول البراق في " شعراء النصرانية " ص ١٤١ ، ش ٦ .

ص ٨٢ س ٦ — ٩ : وعند « الرولة » التبعة على جميع أهل

القاتل (The Manners... ص ٤٨٩) .

ص ٨٣ س ١٠ : هذا أمر عارض . والجاري في شرقي الأردن ، كما جاء في " خمسة أعوام ... " أيضاً (ص ١١٠) ، أن المدفوعين إلى الثأر هم أولاد القتل وأقرباؤه بل عشيرته كلها . ز عند « الرولة » : الثأر واجب على جميع أهل القتل (The Manners... ص ٤٨٩) .

ص ٨٦ س ٤ ي : صرفت أكثر وجه الكلام إلى ترتيب أنساب العرب بحسب مذهب الماوردي الذي اختاره في كتابه : " الأحكام السلطانية " ، لأنه قصد التأليف في هذا الباب قصداً ، ولأن هذا الترتيب إنما هو الذي دُوّن عليه إثبات العرب في القسم الخاص بالجيش من « الديوان » لعهد عمر ومن تبعه .

ص ٨٧ (ح) ١٤ ، ٩٢ (ح) ٣٤ : وعند « الرولة » ، القبييلة والعشيرة (و « البديدة » أيضاً) بمعنى . ويعبر عن الحى بلفظة « آل » ، وكثيراً ما يستبدل بها « آل » المعرفة . وآل بمعنى « بنى » أو « ابن » في الغالب . ولفظة آل فوق « الأهل » شمولاً في المعنى ، وهي تضم أقارب الرجل . وأما تعبير « أهل البيت » فيدل على زوج صاحب البيت أو امرأة أخيه (ويقال أيضاً : « راعية البيت ») . ولفظ الأهل ، بمعناه الأشمل ، يفيد جماعات معينة يضم بعضها إلى بعض دفاع مشترك في الغالب . ثم : الجماعة والقوم بمعنى واحد على وجه التقريب ، وهما البدو يسوسهم سيد (The Manners... ص ٤٧ — ٥٠) .

ص ١٠١ (ح) ٤٢ ، ص ١٠٢ (ح) ٤٤ ، ٤٦ : وغير ذلك :

ورد : الترمذى " سنن " ، الترمذى " صحيح " ؛ والاسمان لكتاب . ثم : الدارمى " سنن " ، الدارمى " مسند " ؛ والاسمان لكتاب .

ب - الفئات

ص	س	اقراً	بدلاً من
٢٣	٢	بفنلندية	الفنلندية
٢٨	١٣	شؤون	الشؤون
٣٢	٢٧	لأبي بكر عبد الله ... بن عبيد ...	لأبي بكر بن عبد الله ...
٣٣	٢١، ١٥، ١٧	٩٩٤ - بدائع غرائب - ج ٥	٤٩٤ - بدائع غرائب - ج ١٧
٣٤	١٥ ، ١٤	١٩١١ - الجاحظ "المحاسن والأضداد"	١٣٣٠ - البيهقي "المحاسن والمساوي"
٣٧	٢٣ ، ٢٢	المعالى - ص ٢٧	العلى - ص ٢٢٧
٣٨	١٢	المخطوطات س ٢٦، ٢	الكتب س ٢
٤٦	٢٨	ج ٢ ص ٣١٢ ي	ص ٣١٢ ي
٤٩	١٨ ، ١٦	"مكارم الخلاق" - مصر ١٣٢٩ ج ٢	"مكارم الأخلاق" - ج ٢
٥٤	١٥	التعريف بمحض	التعريف باللاحق
٥٩	٩	ميكائيل	ميائيل
٦٥	١٥	ص ٥٨ تحت	ص ٥٩ فوق
٦٨	١٣	ز المتضمن في ص ٢٥ س ١٥ ي	ص ٢٥ س ٤ ي تحت
٦٩	١٨	الفيروزابادى	الفيروزبادى
٧٠	١٢	"مرآة المروءات"	"مرآة المروءات"
٧٢	١٢	"مرآة المروءات"	"مرآة المروءات"
٨٠	١١ ، ١٠	ابن ملك - ابن الملك	ملك - الملك
١٠٢	١٨	١٩٠٢	١٩٠٠ ي
١٠٣	٢٥ ، ٢٤	ج ٥ ص ١١ ، ٢٠ - الإنجليزية	ص ١١ - ي الفرنسية
١٠٤	١٤	الزينية ص ٧ ، ظ	الزينية ظ
١١٥	٢٤	مصر ١٩٣٦ ، السنة ١٩٣٥	مصر ١٩٣٥
١٣٤	١٢	تليها	تسبقها
١٣٩	٢٣	الذات	الذات ، من ذات

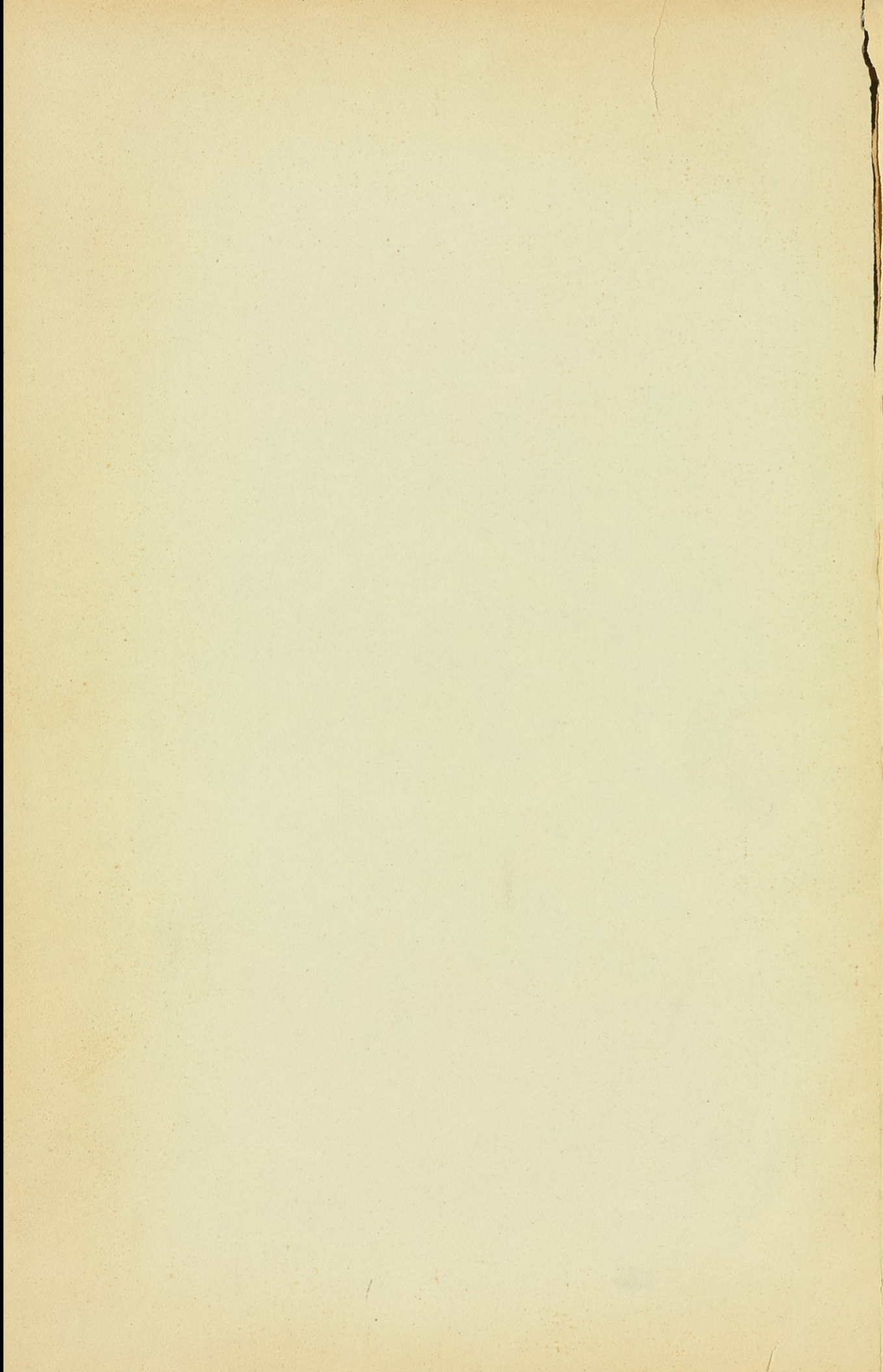
BISHR FARÈS

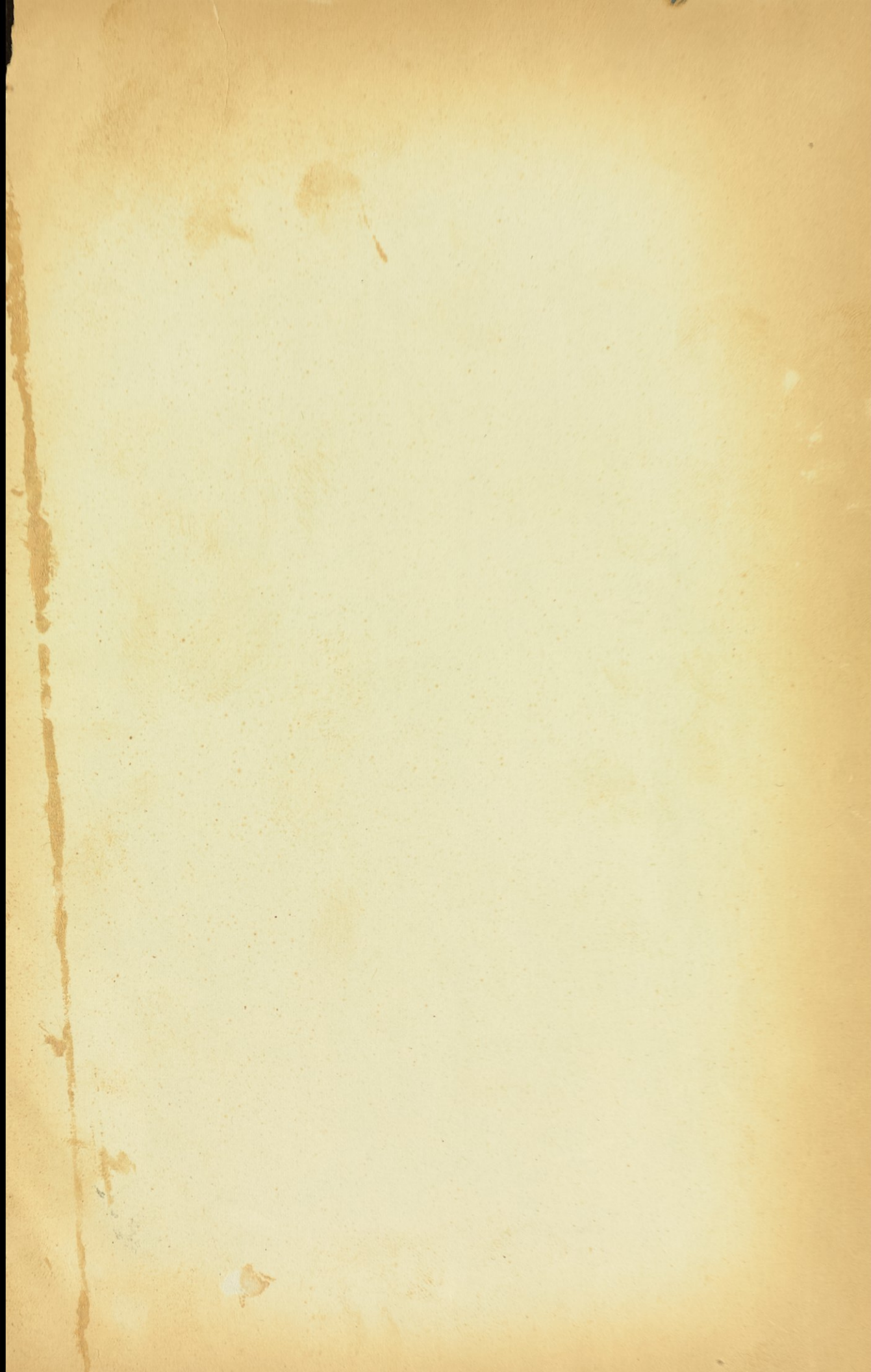
Docteur ès-Lettres de l'Université de Paris

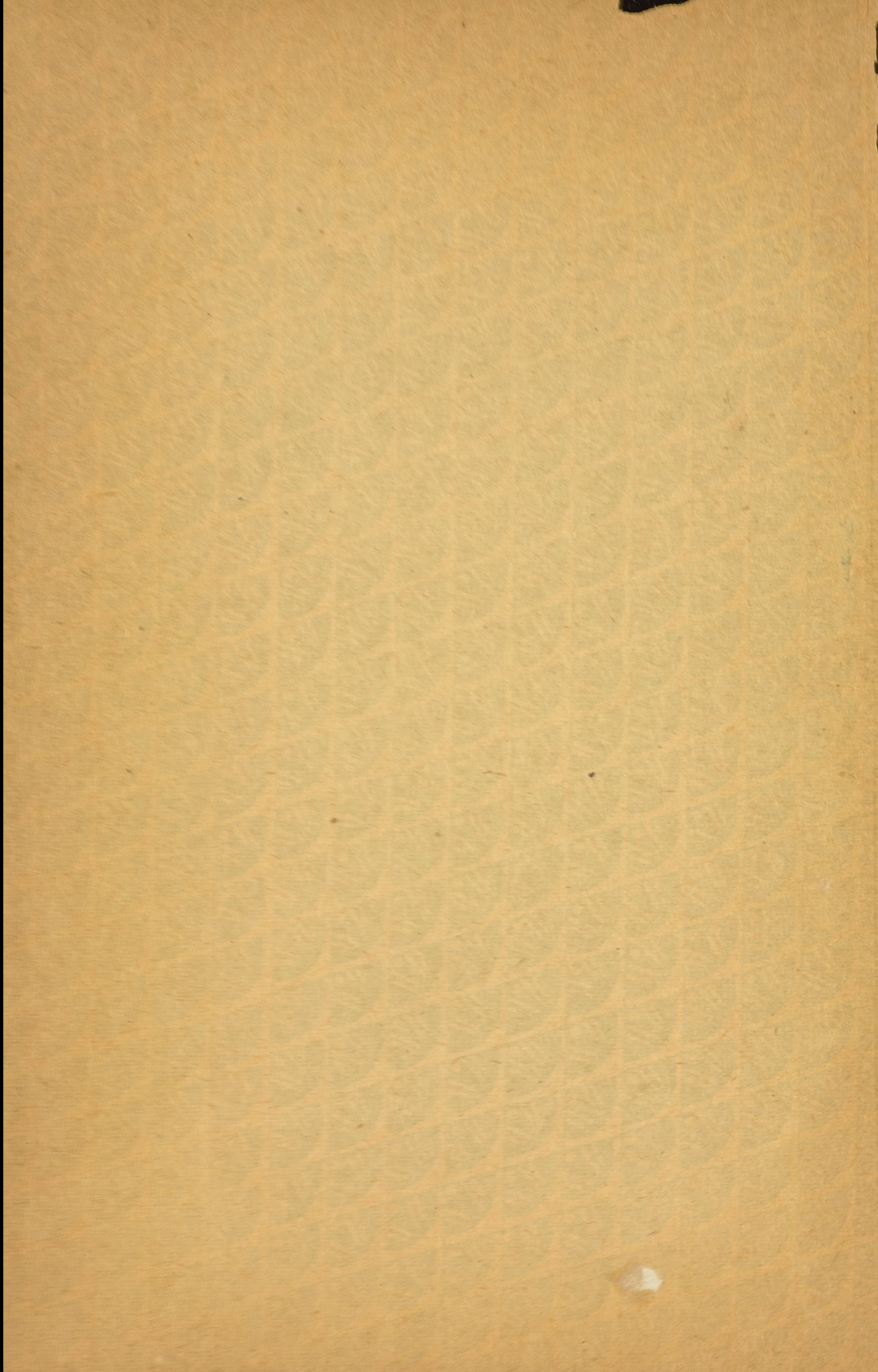
ÉTUDES ARABES

Sociologie et Linguistique

Editions AL-MAAREF
Le Caire
1939







COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the rules of the Library or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
28 1950			
C28(1141)M100			

C28(1141)M100

MAR 29 1946

COLUMBIA UNIVERSITY



0026813718

08874719

INSERT

BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE.

35 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53

953

F2228

08874719

953.

F228 C1

MABAHITT ARABIYA

